



سلسلة تصدر عن جمعية الثقافة والفنون وتتناول موضوعات ثقافية متنوعة | ٢٢

بمناسبة مرور مئة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية

مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز

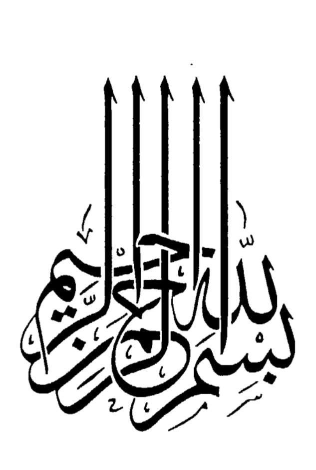
محمد بن ناصر العبودي

بمناسبة مرور مائة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية

مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز

بقلم

محمد بن ناصر العبودي


بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

كتب كاتبون كثر في الأعمال التي أنجزها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، وذلك منذ أن بدأ تأسيس المملكة العربية السعودية عند فتح الرياض في الخامس من شهر شوال عام ١٩١٩هـ.

وحتى بعد اكتمال توحيدها ، وإعلان ذلك تحت اسم المملكة العربية السعودية إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن من ازدهار داخلي، ومكانة دولية.

وتكاد تكون كتابة أولئك قد غطت أكثر الجوانب المهمة من تاريخ المملكة ، وكانوا ينطلقون في كتاباتهم من تحليل الأحداث التاريخية التي أثر فيها الملك عبد العزيز ، أو أثرت في جهاده لتوحيد المملكة ، أو من واقع سيرة الملك عبد العزيز — رحمه الله — بدراسة مزاياه، وشمائله الكثيرة.

كما تناول كتاب آخرون مناحي أخرى من تاريخ الملك عبد العزيز ، والجميع على صواب في تناولهم للأحداث التاريخية والوقائع ، ومنها الوقائع الحربية لمعرفة أسبابها ونتائجها ، فذلك هو الأساس في دراسة التاريخ نفسه الذي يبرز للعيان في الوقائع التاريخية.

وتلك الأحداث قد تكون نتائجها واضحة؛ مباشرة أو غير مباشرة.

ولكن هناك أشياء تتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية، والاطلاع عليها في غاية الأهمية، ولكنها لا تكون ظاهرة في دراسة تاريخ الملك عبد العزيز، ولا تظهر في استقراء الوقائع التاريخية، ولا بدراسة الوقائع الحربية، أو الأحداث المنفصلة، وإنما ترى آثارها نتيجة لسياسة مرسومة، ونهج كان قد استمر، ولا يزال، ولذلك لا يستدل عليها إلا بالاستقراء والتتبع.

ومن أهم ذلك تتبع ما يتعلق بها من المأثورات الشعبية من الألفاظ اللغوية، والأمثال والجمل الشعبية، وشواهد ذلك من الأشعار العامية، ومدلولات الجمل.

وقد اخترت من ذلك الألفاظ والجمل اللغوية من اللغة العامية المحكية في المنطقة التي تم فيها تأسيس المملكة العربية السعودية أول مرة، وهي المنطقة الوسطى من المملكة.

فقد كانت هناك ألفاظ وتعبيرات كانت شائعة في البلاد قبل حكم الملك عبد العزيز بل قبل الحكم السعودي في بعض الأحوال إلا أنها مثل غيرها من الكلمات

والألفاظ بل والأحداث السيئة التي طبيعتها التكرار تكثر وتزيد عند ما تضعف الدولة السعودية وتتلاشى وتموت عندما تزدهر شأنها في الشأن العام للجزيرة العربية التي أثبت التاريخ أنه كلما كان حكم الأسرة السعودية قوياً شاملاً كان الأمن والاستقرار والخضوع للأحكام الشرعية سائداً والعكس بالعكس .

ولن ندخل في تاريخ تلك الكلمات والجمل أو التعبيرات لأننا نكتفي بما كان موجوداً منها سائراً مدلوله بين الناس قبل حكم الملك عبد العزيز، ثم عندما توطد الحكم للملك عبد العزيز واستمر قضى على مدلولاتها فماتت تلك الألفاظ والتعبيرات . إلا أن موت تلك الألفاظ والتعبيرات لا يكون فجأة كما يكون موت الأناسي والحيوان وإنما يكون متدرجاً بحيث تظل الكلمة حية في أذهان بعض الناس وإن كان مدلولها قد مات وذلك لفترة من الزمن إلى أن تغييب عن ذاكرة النشء الجديد .

من ذلك جميع ألفاظ السرقة والانتهاب، وألفاظ الغزو الإغارة على الإخوة. وألفاظ الكوارث والجوائح التي سببها الناس أنفسهم . وقد أضفت إليها ألفاظاً من ألفاظ الأمراض والمصاعب التي قضى عليها حكم الملك عبد العزيز بالقضاء على أسبابها ومسبباتها .

وقد ماتت تلك الألفاظ والتعبيرات أو كادت؛ لأن مدلولاتها ماتت من الاستعمال حتى أصبح الجيل الجديد من المتعلمين فضلاً عن غيرهم لا يعرفونها ، ولا يعرفون مدلولاتها وهذا ما حدا بي إلى التنويه بها هنا .

ونحن عندما نقول إن حكم الملك عبد العزيز قضى على تلك الألفاظ لا نريد أنه سعى للقضاء عليها ، وإنما قضى على مدلولاتها ، وفي ذلك القضاء عليها. مثل كلمة (حنشولي) جمعه حنشل بمعنى منتهب أو غاصب، وكلمة (سلة) بمعنى سرقة البعير في الليل أخذاً من كون السارق يسل عقاله عنه إذا كان معقولاً ، ويسله عن الإبل الأخرى . ومثل كلمة (الكسب) التي تعني الإبل المنهوبة بالإغارة والقتال من إخوة مسلمين من أهل البلاد .

وكلمات وجمل تتعلق بالشدة والتعب مثل (صاح الصياح) إذا أدهمهم عدو بغارة أو أخذ مواشيهم . و(فضى) الحاكم البلدة الفلانية أي احتلها ونهبها أو أباحها لجنده .

ومثل كلمة (الفضة) بفتح الفاء وهي المال الذي يجبيه الحاكم قسراً من الناس ولا يعذر في ذلك من ادعى أنه معسر.

أما الألفاظ والجمل المتعلقة بحرب الإخوة وأبناء العم،

فإنها كثيرة، لأن الحرب والقتال بينهم كان هو القاعدة، وبخاصة أهل البدو، وأهل القرى، مثل (النقا) بمعنى الحرب المعلنة، و(البَوْق) وتعني المباغتة بالحرب دون إعلان .

ومثله (رَدَّ البَرا) وهو الإعلان بغارة رداً على غارة سابقة.

هذا إضافة لحروب يجر القوم إليها دون هواهم، أو دون أن يكونوا مستعدين لها مثل (اللقوة) .

وأما الأسلحة والألفاظ المتعلقة بها، وكلها أسلحة للأخ على أخيه وابن عمه من القبائل العربية الأخرى، فإنها كثيرة، وهي منجعة لأنها رغم كونها ليست فتاكة بالنسبة إلى الأسلحة الحديثة؛ إلا أنها أسلحة مواجهة يدخل في قوة مفعولها وتأثيرها قوة الضارب بها مثل الرمح (المزرَّج)، وهو الذي يكون في رأسه شعبة أو شعب من الحديد، ليكون أوسع إصابة، وأكثر إيلاماً.

والألفاظ التي تدل على الحروب الواسعة التي تشمل عدة قبائل، مثل: (المناخ) الذي تتقاتل فيه قبائل عديدة، وقد أناخوا إبلهم، بمعنى استقروا بمكان واحد تعاهدوا فيما بينهم على أن لا يتركوه إلا منتصرين أو مقتولين.

وتتبع ذلك الألفاظ التي تدل على أن القتلى لا يتمكن

أصحابهم حتى من دفنهم ومواراتهم التراب، وإنما تأكلهم سباع البر، وجوارح الطير، مثل الذئاب والضباع والنسور والرخم .

وأما الأطعمة، فإن المأثورات الشعبية حافلة بها مثل الطعام (الحافّ) الذي ليس فيه شيء من الدسم، (وعظلم الرجوعه) الذي يسمى عند بعضهم (عظلم الرجيع)، وهو الذي يطبخ مرة بعد أخرى بغية استخلاص ما قد يكون في داخله من دسم.

إلى غير ذلك من الألفاظ التي سيأتي شرحها، وقد تعمدت أن أطيل بذكرها؛ لأنها مما لا تعرفه الأجيال الصاعدة منا، وأما الذين قبلهم ممن يعرفون معناها حقيقة، فإنهم نسوها، أو تناسوها، والقصد من ذلك أن يعرف بها الجيل الجديد من الذين نشأوا في النعمة، والأمن والرخاء، وذلك للمقارنة بين الحالتين، و(الضد يظهر حسنه الضد) كما يقال.

وبعد: فإن ذلك قد يكون من التحدث بنعمة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ .

قلنا: إن الملك عبد العزيز رحمه الله لم يكن همه

القضاء على وجود تلك الكلمات والألفاظ بمجرد أن يتولى الحكم، وإنما القضاء على مدلولاتها، وهذا صحيح يوضحه أنه حالما تولى الأمر كان همه منصرفاً إلى تحكيم الشريعة الإسلامية، ونشر العدل بين الناس، وكف أذى السراق والمنتهبين والمغيرين، وتأمين الطرق، ومكافحة أعداء البلاد الذين لا يريدون لها الاستقرار؛ فضلاً عن أن يريدوا لها الازدهار.

ولكن تبع ذلك ما ذكرناه من موت الألفاظ والجمل التي تدل على عكس ذلك، وإن كان موتها تأخر عن ذهاب مدلولاتها واضمحلالها، وهذا طبيعي.

وأما الألفاظ المتعلقة بخشونة العيش، وشدائد الزمان، وتكالب الأمراض، فإن الله وبحمده ومنّه أفاض على بلادنا في عهد الملك عبد العزيز آل سعود، وأبنائه الذين تولوا مقاليد الأمر من بعده من الخيرات والبركات؛ بل الثروات ما غمر أهل البلاد، وفاض على الآخرين، ولذلك لا بد من التذكير بما كانت عليه البلاد قبل تأسيس المملكة العربية السعودية، وذلك باستعراض الألفاظ والمأثورات الشعبية.

وقد كتبتها تحت عناوين، وليس ترتيباً هجائياً.

حالة الأمن

تتجلى الفروق، وتظهر للعيان في دنيا الواقع في مقارنة حالة الأمن ما بين عهد الملك عبد العزيز وما قبله، حاشا عهد ازدهار الدولة السعودية الأولى، التي قامت على العدل، وشملت الجزيرة العربية أو كادت.

وذلك بالمقارنة ما بين حالة المن وحالة الخوف والفوضى.

ففي عهد الملك عبد العزيز ساد الأمن والاطمئنان، وعدمت جرائم السرقة والانتهاب، ولن نذهب كثيراً في الأمثلة، وإيضاح الفروق، ولكننا نذكر مأثوارث شعبية من الألفاظ والأمثال يعرف بها ذلك .

منها كلمة:

(الحنشولي): وهو السارق المختلس الذي يسرق الماشية خاصة كالإبل والغنم، ومن يعتدي على الناس، فيأخذ ما معهم حتى ثيابهم.

حنشل الشخص يحنشل، والمصدر: الحنشلة، فهو حنشولي، و(محنشل)، وجمعه: حَنْشَل وحناشل .

وقد أخبرني بعض شيوخهم المسنين أن السارق إذا كان يتبع القوم وهو راجل، فإنه حنشولي، وجمعه حناشل.

وأما إذا كان من قوم راكبين على إبل أو خيل، فإنهم مغيرون، ولا يسمون حنشلاً أو حناشل .

ومن ذلك قيل في المثل: « حنشولي ما معه إلاّ فهر وقْنَيِّته» ،فالنهر: الحجر بقدر ما يملأ كف الإنسان، والقْنَيَّة: تصغير (قناة)، وهي العصا التي تكون في رأسها عقدة تشبه الكرة ليكون ذلك أعظم لأثرها عند الضرب .

قال حميدان الشويعر وذكر المحجان، وهو العصا المعكوفة الطْرَف:

ساعَةْ جينا عند القاره جـــاهم ناس حراميه

ما معهم تَفْـــاقٍ يرمي راعي محجانٍ و(قْنَيَّه)

وقال السنيدي من أهل الخبراء:

جاها الهزل وذل من سكانها

(حَنْشِلٍ) اشرار بالزيارة مِلْـيهِو

وإذا لم يجد الحنشولي ماشية يسرقها، وهو لا يسرق إلا واحدة أو اثنتين في العادة، فإنه يأخذ ما يجده حتى ثياب من يصادفهم من أهل الحضر .

ومصدر اللفظ: الحَنْشَلَة .

قال ابن شريم:

ما يالف الذلّ رجــــــــال أو يرغبه

حتى ولو قالوا إنه من عوارفها

انشد عن الرجل وانشِد عن جماعته

و(الحَنْشَلَهْ) قبلنا ناسٍ تْوَصِّفها

وقد كان الحِنشولي والحناشل في عهود الإمارات أيام الانقسام والفوضى في نجد كثرة؛ بل كانوا يهددون من ينفردون به في الصحراء، ولذلك كثرت الأمثال والأقوال فيهم.

ومنها: « مْحلوّع الحنشل منهم ».

والمثل الآخر: « الحنشل رجاجيل...»، وبعضهم يزيد فيه: بس هم يضربون على الكبد...

وقالوا لمن يجر على نفسه بفعله سوءاً: « فلان مقعد الحَنْشَل » أصله أن يجد الرجل (حنشلاً) نائمين فيوقظهم لصلاة أو طعام أو نحو ذلك، فيستيقظون ويشعرون به، ويأخذون ما معه.

وسموا الرجل إذا كان قليل التدين (حِنْشُولياً)، وإن لم يحترف الحنشلة، وذلك في مقابل تسمية المتدين منهم

(محلوعاً).

(والسَّلّة) بفتح السين، وتشديد اللام: وهي سرقة المواشي الخفية بمعنى الاختلاس، كاللص الذي ينتهز غفلة أهل البيت أو نومهم، فيأخذ منه ما يستطيع دون أن يضيع وقتاً طويلاً، أو يحاول أن يستقصي ما يريد سرقته، وأكثر ما صاروا يستعملون ذلك في سرقة البعير أو البعيرين من مواشي القوم، وهم نائمون أو غارّون، وتعني أكثر ما تعني (سَلّ) عقال البعير، وهو حل عقدته حلاً سريعاً من دون صوت، أو تضييع وقت، كما سمعنا من سجعات بعض الأعرابيات اللائي كن يندبن رجالهن أو عشاقهن يعددن محاسن الرجل بعد موته، ويقلن من ذلك: « يسِلّ عقالها (سَلّ) الما بالليلة الظلما » يمدحنه بالمهارة في سرقة البعير من أهله عندما ينامون في الليل.

وكلمة أخرى وهي :

(السَّلّة) أيضاً بفتح السين، وتشديد اللام: السيوف المسلولة، أي التي قد أخرجت من أغمادها من أجل الحرب والقتال.

جمعها : سْلال بإسكان السين .

أكثر الشعراء من ذكرها؛ لأن ذلك داخل في باب

الحماسة والفخر على الأعداء ..

ولفظ: (الكَسْب):

وهو بفتح الكاف: الإبل التي تؤخذ في الحرب من المسلمين، وكل حروبهم بين مسلمين، أو تؤخذ من الأعداء في السلم على طريق الانتهاب، أو الاغتصاب، أو السرقة .

ولا يرون في ذلك بأساً من ناحية العرف على اعتبار أن أعداءهم يتربصون بهم ليفعلوا بهم مثل ذلك الفعل، إذا استطاعوا إليه سبيلاً .

يقولون: هذه ناقة كَسْب، وتلك غنم كَسْب، أي مأخوذة عنوة من الأعداء .

أما المتدينون منهم، فإنهم ينهون عن ذلك لأنه من الحرام الذي لا يجوز .

ولكن العامة و الجهلاء منهم لا يفهمون معنى النهي عنه.

ولذلك جاء في المثل: « حجينا على الكَسْب ولا خالف..».

أصله في قوم نهاهم علماؤهم عن أداء فريضة الحج على

راحلة، أو رواحل جاءت من طريق الحرام كالكسب، فحجوا عليها، وقالوا: حجينا على (الكسب) ولا خالف، أي لقد جربنا الحج عليه، فلم نر بذلك بأساً! مع أن النهي عنه لكونه لا يجوز عند الله..

ومن أمثالهم في نفاسة الإبل وصعوبة الحصول عليها: «الإبل ما يجيبها إلا الأحمرين : الدم والذهب ».

أي أن الإبل لا يمكن الحصول عليها إلا بالدم، وهو الاقتتال من أجل الحصول عليها حتى تسيل الدماء، أو ببذل الذهب الأحمر .

الحرب والقتال

حفلت مأثوراتهم الشعبية بالكثير من الألفاظ والجمل والأمثال التي تدل على التقاتل والتحارب والخصومة التي تصل إلى القتل، بل الفتن التي تقع حتى بين الأقارب، ولم تسلم من ذلك حتى القرى الصغيرة؛ حيث كانت القرية لا تأمن جانب القرية المجاورة، فكانت تحدث بين أهل القرى حروب ومنازعات يكثر القتلى بين الطرفين بسببها، ولا يقتصر هذا على جماعة القرية ضد جماعة القرية الأخرى؛ بل يتعداه إلى الأفراد .

وواضح أن جميع تلك الحروب كانت حروب بين الإخوة، وكل الاقتتال كان بين أهل الدين الواحد؛ بل أحياناً بين فصيلين من عشيرة واحدة، وليس منها ما هو ضد الكفار من يهود أو غيرهم .

من ذلك:

كلمة: (النقا): بمعنى الحرب والإعلان بها، يقول فريق يريد أن يجاهر غيره بالحرب: « عليكم مردود النقا ». أي استعدوا، فإننا سوف نرد الحرب عليكم، وذلك فيما إذا كانوا قد تحاربوا من قبل .

وكنا ونحن صبيان نسمع هذا الجملة من الفريقين في اللعب الذي يسميه الصبيان حرباً، وهي ما بقي مما كان سائداً قبل حكم الملك عبد العزيز من دون أن نفقه معناها .

وأصل كلمة النقا: يعني الرماح .

و(البَوْق) - أيضاً -: الغارة المفاجئة التي لا يسبقها إعلان الحرب، كأن يظهر قوم عدم رغبتهم في غزو قوم، أو على الأقل عدم إعلان الحرب عليهم، ثم يغيرون عليهم فجأة، ودون أن يظهروا نيتهم بالإغارة عليهم .

فهي هنا نقيض (النقا)، فالنقا، وبعضهم يقول: (وَضْح النقا) هي أن تعلن أعداءك بأنك سوف تغير عليهم وتقاتلهم .

يقال في هذه الحالة : فلان أغار على بني فلان على وضح النقا .

أي مظهراً ذلك غير مستتر به .

أما البوق، فإنه الإغارة فجأة ، وبدون إعلان مسبق .

قال حميدان الشويعر، وجمع بين ذكر البوق والنقاء :

واترك باب الذل عني، ولا تِكِنّ

إلى رايت راسٍ مـــــن عدوك بان

فصككه بالهندي على البوق و (النّقا)

وما كـــــبر من عِظَم المصيبة هانْ

فذكـر البـوق، وهـو الهجـوم علـى القـوم، ومبادأتـهم بالحرب قبل أن يعلمهم بها، وذكـر النقـا وهـو إعـلان الحـرب عليهم وإخبارهم بذلك . والهندي: السيف .

وجمع ابن لعبون بين ذكر النقا والبوق، ولكن في شعر غزلي، وذلك في قوله:

قضيت بين النقا و (البوق)   شهري وْدهري وْ ساعاتي

مع جاذل لامـــــها معشوق   ما طعـــت فيها ملامـاتي

جاذل: فتاة شابة جميلة، ولامها: وصلها .

و(رَدّ الْبَرَا) بفتح البـاء والـراء المخففـة، معنـاه: إعـلان الحرب بعد هدنة أو اتفاق سابق .

وكـان ذلـك شـائعاً في نجـد إبـان عـهود الإمـارات قبـل الحكـم السـعودي، وإبـان ضعفـه، إذ كـانت بعـض القبـائل تتحارب، ثم تتفق على أن يكف بعضها عن بعض لفترة معينة، يعلن بعدها بعضهم أو أحدهم (رد البرا) أي نقض الهدنة التي كانت قائمة، واستئناف القتال .

قال عسكر القثامي الروقي :

إنْ كان في بالك هْروجٍ كثيرة

رَد (البرا) ياتي مع أول مناديب

خلّ المحامَى دون راع الجريرة

محاماك خلّه دون زمل الرعابيب

الرعابيب : النساء الحسان.

وقال عبد الله بن صقيه من أهل الصفرّة :

حِنّا اللوايح بالبيوت العامرة

وحِنّا إلى (رد البرا) عمرانها

وحنا سنام المجد منّاب الكراع

مولودنا لَى حلّ بارضٍ زانها

اللوائح: جمع لائحة، وهي الحائط الذي يقوم عليه البنيان، وعمدانها : أعمدتها، مناب: لسنا. إلى : بمعنى إذا .

(وذارع) القنا : الموت الذريع، أي السريع. من القنا وهي الرماح.

أكثروا من ذكر (ذارع القنا) يريدون الموت بطعن الرماح في الحروب، هذا أصله، ولكنه صار يقال للموت من

الحرب بأي سلاح كالسيوف والبنادق .

قال بريك صاحب بقعاء:

عيـــــــنت ربع للمصيـــبيح غرّبوا

يتلون – يا عـــــرب البنـــان – منيع

منيع حمى الوندات (بذارع) القنا

مقـــــــــدم رُكاب من هواه تطيع

عينت : شـاهدت أو ذكـرت ، والونـدات: الإبـل الهزيلـة التي لا تستطيع الجري السريع عند الهرب من الأعداء .

ومن شعر الضياغم في رجل شجاع اسمه حجاب :

حْجاب حجاب الخيل عن (ذراع القنا)

ومتى ذلّ مـــــــنا يلتجي لحـــــــــجاب

و (اللّقْوَة) - أيضـاً –: الحـرب التي تـنزل بـالقوم رغمـاً عنهم، ولا يمكنهم تلافي نشوبها. جمعها : لَقْوَات.

يقولون : يوم اللّقْوات والمصايب، وأنتـم مـا لقيتـوا غيرنـا ، ويوم راحت (اللقوات) نسيتونا .

قال حاضر بن حضيّر يذكر وقعة أم رضمة:

في المَسعَري يوم (اللّقْوَة)　　سَبعمية من قومه نَقوه

ذبحوا جَزْمٍ ما هي هَقْوهْ　　كون القاعيًه ذا ثاره

وللحروب التي كانت تنشب بينهم، وهي جميعها كانت حروباً بين الإخوة – كما سبق - وسائل وأسلحة عديدة وجدناها في المأثورات الشعبية لا نجد داعياً لاستقصاء الحديث عنها ، وإنما نذكر منها أمثلة، ومن الحديث عنها أطرافاً.

مثل: الرمح (المزَرَّج) .

وهو الرمح ذو الرأس المربع الحاد الذي يكون أسفل من رأسه عدة حلقات، فسموه مْزَرَّج، أي: ذا زْرَج : جمع زرجه.

وجمعه: (مزاريج)

قال العفار من شعراء عتيبة :

نخـــــيت خالي يوم هن أقْبَلَنٌ

والدمع من عيني على حجرها سال

صِحْنا عليهم صيحة وأوْجَهَنٌ

والخيل من ضرب (المزاريج) تنجال

وقال فهد بن دحيم في المفرد:

يا لايمي يضرب براس (المزَرَّج)　　مِشَلْشِلٍ بين الأباهرِ يخجه

متى متى عسر الليالي تفــــرَّج ؟ يسجّ سجّاجي بقلبي يسجُه

و(مْزَرٌحات):

قال أبو عيد المطوطح العنزي، وجمعه على (مزرجات).

ربعي هل الشيمات واهل العزوم

ويامـــا قزا بأيمانهم من سنْايْ

صفرٍ يطاوعن المقاود سجـــــوم

و(مْزَرٌجاتٍ) فِيهن الريـش وايْ

ومن أمثالهم:

« خِذْها وْذِقْها » ، مثل يضرب للمعاناة وتكرارها.

اصلـه في الحـرب حيـث يقـذف المقـاتل قِرنـه، أي الـذي يواجهـه في الحـرب ويقـول مـرة: خذهـا ، ومـرة أخـرى: ذقـها ، والمراد الطعنة بالرمح، أوالضربة بالسيف، ثم أضيف إلى ذلـك الرصاصة من البندق.

ويشـمل ذلـك مـا دون القتـل مـن الضـرب الشـديد مثـل الضربة بالعصا أو الحذفة بالحجارة .

ويقولون:

(ترّس) فلان لفلان: اختبأ في مكان بحيث يصيبه إذا رماه من غير أن يعرف به، أومن غير أن يستطيع الرمي عليه إذا أراد .

ومنه اشتقوا (المَتْرَس) بفتح الميم والراء بينهما تاء ساكنة، وهو المكان الذي يختبئ فيه الرامي أو الرماة، لكي يصيبوا من يرمونهم من الأشخاص، أو ما يرمونه من الطير أو الحيوان .

و (المناخ) في الحرب إذا بلغ العداء بالقبائل العربية مبلغاً يفوق الحرب العابرة بينها، (تناوخوا) بان ينيخ كل منهم ركابه ويشدها بعقلها، ثم يتقاتلون حتى يهزم أحد الفريقين صاحبه .

وذلك أشد من الحرب التي تقوم على الإغارة، فإذا رأى أحد المتقاتلين أن الحرب لا تميل لصالحه انهزم وتركها، وهي الحرب التي تعتمد على الكر والفر

وغالباً ما تكون المناخات هذه بين قبائل كبيرة، أو تجمع لعدة قبائل، وقد سجل التاريخ عدة مناخات حربية منذ القرن التاسع الهجري حتى قيام الدولة السعودية التي منعت التقاتل والتناحر بين الناس، وكفت الناس بعضهم عن بعض إلا فيما يبيحه الشرع الشريف .

ولكن في إبان ضعف الحكم السعودي، كان الأعراب يعودون إلى جاهليتهم، وكانت المناخات تتكرر

أما بعد أن حكم الملك عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – فقد انتهى ذلك، ولله الحمد، ونسي الجيل الجديد معنى هذه اللفظة (المناخ).

وفيما يتعلق بعواقب القتال من الألفاظ وجد لفظ: (شريدة)

و(شريدة القوم): الذي يسلم من الهلاك دون سائر القوم

وشريدة الغزو : من يرجعون أحياء بعد أن قتل أكثر رفقائهم .

وشريدة الناس أيضاً: من يسلمون من وباء يموت فيه أكثر الناس .

قال حاضر بن حضير في ذكر وقعة أم رضمة:

قَـــومٍ قِطْعَتْ عقيلتهم	إلا واحـــــــد (شريدتهم)
خَبِّر فيصل في ذبحتهم	صاح من الضيِّق لْحِضّاره

والمراد بفيصل هنا فيصل الدويش.

والقتلى كثيراً ما يتركون من دون دفن أو تورية؛ لأن

المنهزمين يبعدون عن مكانهم، وأما المنتصرون فإنهم يشتغلون بالغنيمة، ولا يبالون بجثث أعدائهم .

لذلك وردت كلمة: (العَرْجا)، وهي الضبع، سميت بذلك لأنها تخمع في مشيها، أي تمشي مشية فيها شبه من مشية الأعرج .

أكثر الشعراء من ذكرها بهذه الصفة في معرض كلامهم على جثث القتلى في الحروب .

قال العوني في وقعة الصريف :

قل: كيف عبد الله تعدوه وابنه

ملحق قصيرات السبايا طوالها

تركوا بنقيان الصريف ترودهم

(الضبعة العرجا) وتنادي عيالها

وقال ناصر بن عمر بن هادي القحطاني :

لعيونها ردادها مات ما طاح

خِلّي عشا (العَرْجا) وْبرق الجناحِ

عاداتنا بالضيق نهدي للأرواح

لْيَا هَبَا خَطْو الذليل السناحي

وبرق الجناح التي قرنها بالضبع هي جمع أبرق الريش، وهو الطائر الذي ريشه أبرق فيه سواد وبياض، كالنسر والحدأة.

وقد يخلل بعض زعمائهم وقتاً طويلاً في حروب متصلة، أو في تنقل من أجلها، كما قال صاهود بن لامي من مطير :

غزيت أنا يا عبيد بهلال (عاشور)

وأوَّلْ صُفَرْ والتُّومْ كله تمام

تسعين ليله فوقهن تقل ناطور

جانا الشتا ما شفت زرق الوشام

وعاشور : شهر المحرم، والتوم: هما ربيع الأول وربيع الثاني، وزرق الوشام: النساء. يقول: إنه لم ير نساءه تسعين ليلة.

الأمراض والأوبئة

كانت تأتيهم أمراض تعتاد بلادهم، لا يكاد يسلم منها بلد أو قرية. أما أهل الحضر فإنها كانت تصيب أطفالهم، لكونها لا تمهلهم حتى يكبروا، فتحصد منهم من تحصد، وتشوه منهم وجه من تشوه.

وفي طليعة تلك الأمراض (الجدري) الذي يخلف أحياناً العور بإحدى العينين، أو البياضة في إحداهما، أو فيهما معاً، وأحياناً يسبب العمى الكامل.

وكان الأعراب ينفرون من الجدري: لأنهم بطبيعة حياتهم لا يأتيهم كما يأتي أهل الحضر على شكل وباء عام يزورهم كل بضع سنين مرة؛ لكونهم متفرقين، فكانت أجسامهم ليست فيها مناعة ضده، ولذلك يصيب الكبار الذين لم (يجدروا) من قبل، ولنفورهم منه يتركون من يصاب بالجدري منهم في الحضر، أو على ماء من المياه حذراً من أن يصيب الجدري منهم من يقترب منه.

وكان في شرق القصيم غدير يسمونه: (غدير المجدَّر) جمع مجدور؛ لأن الأعراب كانوا يتركون من يصاب بالجدري عنده.

وبسبب كثرة الإصابة بالجدري كانت في مأثوراتهم الشعبية أوصاف لأنواعه، ومراحل إصابته؛ مثل قولهم:

جدري مْرَخْرِح، إذا كان حبه قد تراكم، وأخذ حده في الانتفاخ والارتفاع من الجلد، حتى لا يكاد يخلو من حب منه، وهو البثور التي تخرج من الجلد قبل أن تتقرح.

وقولهم: حَشَّشَ الجدري في جلد الإنسان، إذا ذهبت شدة حَبِّه وييبست، فلم يبق إلا أن ترمي قشورها.

والجلد عند ذاك محشّش، فالجدري فيه خلاف مْرَخْرِح.

وقد يقال فيه: « حَشْحَش » الجدري إذا كان كذلك، أي بدأت قروحه باليبس والشفاء .

ونِثّر الجدري: إذا ظهرت بثوره التي تسمى الآن بالطفح على الجلد .

كأنما أصلها من نشر بالشين التي أصل كلمة الانتشار.

أو من المعنى العام للانتشار على التشبيه: كأنما نثرت على الجلد نثراً .

والخَرَش بفتح الخاء والراء: هو الذي أثر الجدري في

وجهه ندوباً، وآثاراً جعلته يفقد ملاسته ونعومته، أو الهيئة الطبيعية لجلده .

والأنثى: خرشاء، والاسم: الخرشة.

وهي من الصفات الواردة على أفعل، وأصلها: الأخرش، ولكنهم حذفوا الهمزة، وفتحوا أوله مثل: الحَمَر والخَضَر، والعمى والعرج، في الأحمر والأخضر والأعمى والأعرج .

والأمراض التي كانت تحدث عيوباً بالبدن كثيرة، وكان الناس يسمون من يصاب بها باسم يدل على ذلك يأتون به على سبيل التعريف، وإن كان في الأصل من التعيير كقولهم في المقطوع اليد :

الأجبع: وهو المقطوع اليد، أو الذي تكون يده قاصرة خلقة، وهو من القصر في لغتهم العامية، كثوب أجبع: قصير الكمَّين .

وجبعت الخيَّاطةُ الثوبَ عند خياطته: قصرت كميه تقصيراً منكراً، فهو ثوب أجبع .

و(الأجبز) من الأشخاص: من في يديه أو إحداهما قصر؛ إما لعيب في الخلقة، أو لسبب آخر .

وكنيته عندهم: أبو جبزة، أي ذو الجبزة .

والأكزم: صغير اليد لعيب في يده من مرض أو حادث أصابها وهو صغير فعاق نموها .

تصغيره: (الأكيزم)، وهذه مستعملة لهذا المعنى بكثرة.

والعَضَبْ: مقطوع اليد ، أو مشلولها ، تصغيره: عُضَيْب سموا به عدة أسرٍ في نجد ، وأصله الأعْضب، كالعور الذي أصل لفظه الأعور ، والأنثى عضبا .

كما في المثل: « يد تِقْطَع بالحقّ ما هي بْعَضْبا » أي إذا قطعت يد الإنسان في وجه حق، فإنها كالتي لم تصب.

يضرب في الصبر على تحمل ما لا بد من تحمله إذا كان بوجه مشروع .

والمثل الآخر: « أم العيِّل عضبا » ، والعيِّل: الطفل الصغير، أي أن المرأة ذات الطفل كأنها مشلولة اليد ، وذلك لانشغالها بولدها ، وهذا ما يتعلق باليد من العيوب يمكن أن يقاس عليه ما يعتري الأعضاء الأخرى من البدن .

وذلك مثل: الأشْرَم: الذي في شفته شق.

تصغيره: شْرِيْم تصغير الترخيم.

وفي المثل: « قال: انفخ يا شريم، قال: ما هنا يرْطم » ،

أي قيل لرجل (أشرم): انفخ على النار حتى تتقد ، فقال: ليس لي شفة أنفخ بها .

قال سعيدان بن مساعد مطوع نفي:

باكر وعقبه طلعة الشمس لافين

يا شريم قل لشريم غبّه يجـــــيني

وبسبب الأمراض وجدت في مأثوراتهم الشعبية صفات وعيوب كانت موجودة ، وإن لم تكن شائعة فيهم، ولكنها عدمت الآن، وأصبح الجيل الجديد لا يعرفها؛ لأن اللفظ الذي يدل عليها مات بانحسارها.

ومن ذلك ما يتعلق بأوجاع العين منها:

الْحَمَصُ : وهو الذي في أجفان عينيه مرض بحيث تساقطت أهداب جفنيه، فهو يصر عينيه إذا أراد النظر .

وعينه حمصا ، إذا كانت كذلك.

وعيون حِمْص في الجمع .

ومنه المثل: « ابعد عن الْحَمَص والرمَص وبيت القحليعة».

يقولون: إن جُحا وشخصيته عند أهل الحضر منهم هي

شخصية طالب علم، كان أبوه قاضياً، وأراده أهل بلدته على القضاء فامتنع عن ذلك، ولكنهم لم يعذروه، فأظهر نفسه على أنه مجنون لكي يتخلص من ذلك، وصار يركب جريدة أو عصا طويلة يضعها بين رجليه كما يركب الفارس فرسه، مثلما يفعل الصبيان والمجانين، فاعتقد الناس أنه قد جن، وأعفوه من مطالبته بأن يكون قاضياً عليهم.

قالوا: وأراد أخ له أن يتزوج، فنصحه شيخ كبير منهم بأن يستشير أخاه جحا في ذلك، فقال: كيف أستشير مجنوناً ينفق وقته مع الصبيان؟.

ولكن الشيخ أشار عليه بذلك، فوجد أخاه جحا راكباً جريدة يتظاهر بأنها فرسه، فطلب منه أن ينصحه بأن يصف له الفتاة التي يتزوجها، فقال جحا بسرعة ودون أن يبعد عن العصا:

« احذر الْحَمَصْ والرَّمَص، وبيت القطيعة، وزلّ عن درب الفرس ».

ثم مضى في سبيله مع الصبيان، وفسر أحد شيوخ المسنين ذلك بأنه حكمة بالغة، فجحا يقول: احذر الزواج من الحمصا، أي التي تكون هي أو أهلها حُمْصاً، واحذر الزواج

من الرِّمصا ، واحذر الزواج من بيت القطيعة ، أي الذي أهله من المعروفين بقطيعة الرحم ، وزلّ أي ابعد عن طريق فرسي التي أركبها ، وهي تلك الجريدة التي وضعها بين رجليه كالراكب عليها .

ويسمون المرأة التي تكون كذلك (حَمْصا)، قال عبدالمحسن الصالح من شعره الهزلي في امرأة:

أمـا زَيْنَهْ زَيْن يجـنُّنْ	أبيض من شمس البراحه
بياضٍ تفسيره: بَرْصا	(حَمْصاَ) رَمْصا بَهْ قُبَاحه

أما الرمص ، فإنهم يقولون لضعيف النظر ، مريض العينين؛ بحيث لا يقوى على فتح جفنيه كليهما : فلان حمص أرمص.

فالحمص التي أصلها الأحمص ، هو الضيق العينين لمرض فيهما .

والأرمص: الذي يخرج الأذى من عينيه ، ولا تكاد تخلو منه ، وذلك من شيء كالقيح تفرزه العين المريضة ، وليس به أي ليس هو بالقيح.

والمرأة: رمصا ، جمعه: رمْصان.

وقد يسمى ذلك الأذى الذي يخرج من عينيه: (جْباص).

و(الجْباص) باسكان الجيم وتخفيف الباء: وهو الغمَص الكثير في العين، أي الأذى الذي يشبه القيح، ويكون أبيض، يركب عين الإنسان من مرض أو نحوه.

فلان أجْبَص، أو فيه جباص، إذا كان ذلك.

والأقمط: الضعيف البصر الذي إذا نظر إلى الشمس صرًّ عينيه، وكاد يطبق عليها بجفنه.

رجل أقمط، ومرْءة قمْطا.

والقمطا: العين التي تكون كذلك، جمعها: قُمْط.

والعينان: قُمْط، وفلان (يْقَمِّط) بعيونه، أي يحد النظر بعينيه.

والأصور: الذي إذا نظر إلى الشيء أمال جانب رأسه وعنقه بسبب ضعف بصره، أو عيب فيه، مثل كونه ينظر بجانب عينيه.

وصَوَّرَ الرجل: إذا نظر إلى الشمس بهذه الصفة، فهو مْصَوِّر، مصدره: التصوير

قال حمد الغيهبان، وقيل لغيره من شعراء العامية القدماء:

فلقيت يوماً كاعبٍ خرعوبة

تبكي وتذرف عينها النجلاء

وليست لا شنعا ولا مبدولة

وليست (صورا) عينها قلباء

و (البثرة): الحبوب التي تكون في داخل جفن العين، وهي المسماة في الحلب: (التراخوما).

وهي عندهم أصغر من الهزوم التي هي حبوب تكون في العين أيضاً.

ولا يكادون يستعملون كلمة البثرة لِغيرها، فلا يقولون للحبوب التي تكون في سائر الجسم بثرة أو بثور.

ومن الأمراض التي كانت تأتي إليهم على هيئة وباء (الحَصْبا)، وهي الحَصْبة: المرض المعروف الذي كان يصيب الأطفال، فيفتك بهم، ولكذلك قالوا في أمثالهم: « ما ولد إلا عُقْب حصبا، ولا عيون إلا عقب جدري »، ذلك أن الحصبا والجدري يصيبان الشخص مرة واحدة في عمره، فإذا عاش الولد بعد الحصبا، فإنه يؤمل له العيش، وإلا فإنه يظل قبل أن يصاب بها معرضاً للهلاك بها .

وأما الجدري، فإنه خطر على عيني من يصاب به .

ومن الأمراض التي كانت شائعة:

(الحَزا): وهو مرض على هيئة حب صغير يخرج مجتمعاً في الجسم في مساحة صغيرة ولكنها مجتمعة، ومظهره يشبه منظر القوباء، إلا أنه لا يعم الجسم كله، ولا ينتشر انتشار القوباء فيه.

واحدته: حزاة.

وعاداتهم أن يكتبوا على الحزا كتابة تعاويذ وأذكار يقولون: إن ذلك دواء لها .

وعندهم لها أدوية عدة.

و(الأُخت) من المرض: قرحة يقولون إنها لا بد أن تصيب كل شخص مثلما يصيبه الجدري والحصبة، وأكثر من يصابون بها الأطفال؛ لأنها لا تمهل الشخص حتى يكبر .

يقولون: فلان به أخته، أو هذا القطف الذي بك هو (أختك)، يخاطبونه بذلك، ولذلك سموها الأخت .

ويقولون: إنها تظل تحفر في اللحم حتى تصل العظم.

ومن حظ من يصاب بها أن تكون في موضع قريب من العظم من جسمه كذراعه أو ساقه، أو حتى في جبهته إذ

يشفى منها بعد فترة.

أما إذا كانت في بطن الطفل مثلاً، فإنه قد يموت منها، مع أنها ليست مرضاً قاتلاً.

وقد شخصها الأطباء المحدثون، فذكروا أنها القرحة التي تسمى (اللشمونية)، ويسببها لدغ نوع خاص من الذباب الكبير الذي غالباً ما يوجد في البساتين والأماكن الندية.

والشجر – على لفظ الشجر الذي ينبت -: وهو القروح المتفرقة التي تكون في الجسم، ويسمونها (البلش)، وربما تكون نوعاً من أنواع قروح الزهري، أو الداء الإفرنجي.

كثيراً ما يدعون على الشخص بأن يصاب بالشجر، يريدون به هذا.

وإذا ألح عليهم أعرابي وآذاهم أوهموه أن عندهم من هو مصاب بالجدري أو بالشجر، أي القروح، فينفر من ذلك ويبتعد عنهم حذراً من أن تصيبه العدوى.

قال الشاعر عبد الله بن سبيل:

راعي النميمة لا سعت له بْخيره

حلقه لعله (للشَّجَرْ) والدراوه

فالشجر هنا القروح، والدراوه: جمع درو، وهو الورم الذي يكون في مغابن الجسم، أو في الغدد، جمع: غدة .

ويقولون: (عَثَمَ) الكسر في العضو : إذا أندمل الجرح من دون أن يجبر الكسر، ولكنه ليس داوياً مثل أن يصاب المرء بالكسر في ساقه، وبعد أشهر يذهب الألم يجبر الكسر ولكن على غير الوجه الصحيح؛ بحيث تصير الرجل أقصر من المعتاد، أو مائلة.

ومن أمراض النساء التي كانت شائعة النزيف عند الولادة الذي لا يقف حتى تموت المرأة بسببه ويقولون :

ماحت النفساء، و(اماحت): إذا نزف دمها عند الولادة، وكثيراً ما كان يفضي ذلك إلى موتها .

وقد تقول النساء للمرأة التي تنزف دماً كثيراً عند الحيض: اماحت فلأنة، وان لم يفض بها ذلك إلى الموت، فهو تشبيه بمن تكون كذلك عند الولادة، وإن لم يبلغ ذلك مبلغه.

التعب والمشقة

كانت متاعب الحياة كثيرة، حتى الأشياء التي صارت الآن معتادة، وتفاديها أو علاجها سهلاً أو محتملاً مثل العلاج الشعبي الذي كان سائداً عندهم، كخلع الضرس الذي كان يتم بدون أي علاج، أو أي شيء يخفف الألم؛ سواء أكان ذلك عند خلع الضرس أو بعد خلعه .

وكان الذي يخلع الأضراس المؤلمة (يصخاها) حتى يتمكن من خلعها.

وكان الذي يقلع الأضراس المؤلمة يصخاها حتى يتمكن من خلعها .

لذلك لا بد أن ننظر في معنى (صخى) الخالع الضرس.

صَخَى الخالع اللحم والعصب المحيط بالضرس عند خلعه يَصْخاه، ومصدره: صَخِي بفتح الصاد وكسر الخاء .

وذلك إذا كان الضرس المراد خَلْعه غارقاً في اللحم، ويتضرر ما حوله إذا خلع الضرس بالقوة، فيبعده الخالع بطرف حديدة حادة صغيرة قبل أن يخلع الضرس بالمقلاع .

وصَخْي الضِّرس: أشد إيلاماً من خلع الضرس نفسه كما هو معروف عندهم في تلك الأزمان التي لم يكن

المتطببون من عامتهم يعرفون فيه المخدر أو المهدئ للألم عند خلع الضرس .

قال حاضر بن حُضيِّر:

الله زينهـــا في ســـاعه	ضِرْس (صخى) به قلاعه
يوم أرخص بهم الحلماعه	راحـوا سَمْحٍ فِكٌ ضـرْاره

ويريد بصخى به: صَخَى له ، أي أبعد اللحم عنه وقلعه ، وإذا فعل ذلك بالضرس كان أدعى لقلع الضرس من أساسه ، وعدم انكساره ، أو إبقاء شيء منه .

أما السَّمْح فإن الكلام عليه سيأتي.

وقال ابن ثنيان من أهل الضلفعة :

ونيت ونةْ من تـــــداوَى ولا طـاب

أيس ومن عقب الدوا فارق الطيب

أو ونة اللي (صاخي) عنه جـذَّاب

ضِرْس عميق و (افردن) الكواليب

والجذَّاب: الذي يقلع الضرس .

ومثل العلاج بالكي بالنار الذي كان شائعاً ، ومنه ما

يكون الكي على الراس مضاعفاً كالعرقاة التي هي على هيئة صليب.

يقولون: فلان عَرْقى راس فلان: أي كواه بكيٍّ على هيئة عرقاة، وهي هيئة الصليب، ويفعلون ذلك التماساً للشفاء من المرض .

ومن المجاز: فلان عَرْقَى راس فلان، إذا خدعه وأخافه فجعله يستسلم لما يريد .

قال الأمير محمد بن أحمد السديري في الغزل :

عز الله إني شنت من سبته عَــــوْقْ

وانجض على قلبي ثلاث (العراقي)

حنيت له حنَّةْ خــــــلوجٍ من النــــوق

وكثر عنا قلبي وزاد اشـــــــتياقي

وقال عبد الله بن سعود الصقري من أهل الشقة:

كم واحد (عَرْقَوْا) على راسه الكي

وخَلَوْه يمشي مع مضـــــــيق الزوايا

دنياك يا غافل خواتـــــــيمه الطَّيّ

ما تـــــنذر المخــــلوق قبل المنايا

ومن ذلك وضع الملة، وهي الرماد الحار على جسم من أصيب بكدمات وبرضوض كما كانوا يقولون:

فلان أهله (يملّونه)، أي يضعون عليه الرماد الحار، ومنها ما يحمي من فوط ونحوها فوق التراب الحار ثم يوضع عليه، أو يوضع عليه الرماد الحار الخالي من الجمر، وذلك فيما إذا وقعت له حادثة كأن يتدهور في بئر، فيصاب جسمه برضوض، أو يضارب أحداً، فيضربه بعصا غليظة على مواضع من جسمه .

والتعب في إعداد الطعام:

فذلك كله يحتاج إلى أن (يمَلّ) جسمه، أي توضع (الملّة)، وهي التراب الحار عليه .

طالما حدثنا كبراء وكبيرات منهم في السن عن المعاناة التي كانوا يلاقونها في سبيل إعداد الطعام، فكان بعضهم لا يكون عنده قمح، وإنما يطلب من زوجته أن تذهب إلى القمح الذي استوى، أو أوشك أن يستوي، فتقطف سنبله، أي تقطعه واحدة واحدة حتى إذا جمعت ما تظن أنه يكفيهم ضربته بالكابون، وهو مرزبة من الخشب حتى تخلصه من قشوره.

ومن الأشياء التي نسيها الناس واستراحوا منها ما يتعلق

بالرحا التي تطحن بها النساء القمح للعشاء، وهو مصدر شقاء للمرأة؛ لأنه يحتاج إلى وقت طويل وتعب شديد برتابة مملة؛ بحيث كن ينشدن الأناشيد والقصائد، وهو يطحن القمح، يقطعن السأم والملل بذلك، ويعللن أنفسهن، وكن يتعهدن الرحاء بما تحتاج إليه من عمل في تهيئة أدواتها مثل المنخاس والتبرقة .

فالتبرقة (للرحا): غطاء خشبي صغير يوضع على رأس قطب الرحا الذي يسمونه (المنخاس) من نقرة في أسفل التبرقة

جمعها: تِبارق بكسر التاء.

والمفرد منها على وزن فعلله بكسر الفاء وإسكان العين واللام الأولى، وهذه مما انقرض ومحي من الذاكرة الآن .

وكانوا يسمون السنة من سني الجدب والجوع والشدة (بقعا)، وكذلك السنة التي تحدث فيها حروب ومصائب عديدة، وربما سمى بعضهم الدنيا (بقعا).

قال ابن شريم:

يا الله من مدات جودك يا ابا الجود

يا عالم بمغيـــــــــــــبات الليالي

تـــــــفرج لقلبي عن منـــاويه مردود

عليه من غـــــــارات (بقعا) ميالِ

كما يقال: فلان صكته (بقعا)، وهي السنة المجدبة في الأصل، ثم نقلوا ذلك إلى معنى مصائب الدنيا جميعها، ولدنيا الإنسان إذا كان ذا حظ عاثر.

قال ابن عرفج من أهل بريدة:

يا منـــــــتهى من طلقته العزاره

وتْعوس (بَقْعا) كلّْ يومٍ تْفاجيه

عشيرك اللي للمها صار شـــــاره

يا حُوْلْ جت له علته من مْــداويه

أما السنة الزمنية الحقيقية فإنهم كانوا يعانون من الشدة والضيق الذي كان يصيبهم فيها بسبب الفقر والحاجة مثل قولهم: «الشتا وجه ذيب» كناية عن شدة أذاه وصعوبة اتقائه.

وقولهم في شدة السنة إذا أجدبوا: « شهبة شتا ».

والأشهب: غير الدسم، يريدون أن الشتاء ليس فيه من

اللبن والزبد ما يكون في الربيع، لذلك تكون (شهبة) أي يكون مظهر جلد الإنسان أشهب، أي ناشفاً خشناً، وليس ليناً لدنا .

(وشهبة الشتا) -أيضاً -: شدة برده مع عدم نزول المطر قبل حلوله، وبخاصة إذا استمر فيه هبوب الريح الباردة الجافة. يقولون: لمن أكل كثيراً، أو أكثر من الحديث عما لدى الناس متطلعاً إليه: « عساك لشهبة الشتا ».

وحتى القيظ فإن المسافرين يلاقون عنتاً وخوفاً من أن يموتوا من الظمأ فيه كما قالوا :

« الشتا وجه ذيب، والقيظ (غَوَّال خَوِيّه ».

والغوال: الذي يغتال صاحبه في السفر بأن يخنقه حتى الموت .

يقال في شدة المشقة، وفي الخطر الذي يلحق بالمسافرين في الصحراء من شدة البرد أو شدة الحر .

و(الأشهب): الجوع أخذاً مما سبق، ولأن الجلد الأشهب عندهم هو الجاف بسبب نقص الدسم فيه .

قال ابن دويرج:

تراني لك عن (الأشهب) دخيل

أبو موسى بحذيانه وطـــاني

يصبحني بْشرّه كل يـــوم

فالى جا الليل نومي ما هـــناني

وأبو موسى: كنية الجوع.

ومن الأشياء التي كانت موجودة ومنغصة للحياة وبخاصة في الشتا القمل فكانوا ينلون شعر الزوجين ويخرجون القمل منه.

ومن ذلك (فلت) المرأة رأس الرجل أو رأس صاحبتها فتشته تبحث عن القمل فيه فتقصعه أي تقتله بين ظفريها .

وطالما سمعنا العجائز منهن يقلن للبنات الصغيرات يافلانة قومي (إفلي) راسي وذلك أن الصغيرات يستطعن أن يرين صغار القمل والصيبان في الشعر فيلتقطنه منه ويقتلنه.

و (الصواب) باسكان الصاد وتخفيف الواو هو بيض القمل قبل أن يفقس .

وكانت النساء يتعهدن أطفالهن وبخاصة في الشتاء يأخذن القمل ويقصعنه بين أظافرهن أي يقتلنه بالضغط بين

ظفري الإصبعين .

أما الصّواب فإذا صعب أخذه فقأته المرأة بظفر إصبعها وهو في رأس طفلها .

وهن يفعلن ذلك لأنه أهون من متابعة القمل ولقطه من الشعر وقد ينتقل إلى باقي الجسم بعد فقسه .

وجمع الصّواب : صيبان بكسر الصاد واسكان الياء بعدها باء مفتوحة .

قال عبد المحسن الصالح على لسان تلميذ صغير :

عالْم أشرح كل كتاب	ولو انه كـــــــبر الباب
وأنا بزر تقل (صواب)	من يوم أظلنى وأنا محلوّع

والبزر : الطفل : أي أنه طفل صغير كأنه الصواب ابن القملة .

وحتى الطفل في المهد كان يعاني من الرطوبة لأنهم كانوا يلفون الأطفال الرضع بقماش يربطونه حول أجسامهم برباط ويحاولن أن يجففوا رطوبة الجسم بالسِّرديق: وهو هدب من شجر الإرطَى يسحق وتضعه المرأة في الثوب الذي تلف به طفلها الحديث الولادة إلى أن تترك وضعه في ذلك الثوب الذي تسميه امهاد بعد عدة أشهر من ولادته .

وكما تضعه في مراق لحمه وما بين فخذيه وفرجيه وذلك لكي يمتص الرطوبة التي يحدثها بوله وتغوطه في ذلك الثوب .

فالسراديق يقوم مقام المسحوق الذي يمتص الرطوبة ويسمى الآن بالبودرة .

وكانوا يتأذون من الحفا وقلة النعال ولذلك ذكروا في مأثوراتهم :

(النعَّال) بصيغة المبالغة وهو المنتعل أي لابس النعلين في البرية أو خارج المدن .

وفي المثل : « النعال راكب » ذكروا أن رجلاً حافي الرجلين ولا دابة له كان يرافق قافلة فاشفق أحدهم عليه . وأعطاه نعليه فلما مشي بهما قال: النعال راكب .

ثم أشفق رجل آخر عليه كان يركب بعيره فمل الركوب فنزل له عن بعيره فترة من الوقت فلما ركب البعير قال : الراكب سلطان .

جور الحكام وعسفهم

مع ما كانوا عليه من اللزيات والجدب والمصاعب بل و المصائب فإن بعض حكامهم قبل عهد الملك عبد العزيز وفي زمان ضعف الدولة السعودية كانوا يظلمون الناس ولا يخافون الله فيهم بحيث كانوا يأخذون ممن لا يملك إلا القليل أو لا يملك شيئاً إلا ما استدانه ويعطونه لمحاسيبهم والمقربين منهم كما قالوا في المثل :

(ياخذ من التعاب ويعطي اللعاب)، والتعاب بتشديد العين العامل الذي عمله شاق كالفلاح والحطاب والبناء، واللعاب اللاعب الذي لا هم له إلا اللهو واللعب .

ومن التعبيرات المأثورة: فضى الحاكم البلد الفلاني بكسر الفاء وفتح الضاد : احتلها واستباحها .

ينضاها فهي بلدة منضية

ومصوره النضي وسنة النضية يؤرخون بها دون كتابة ولكل قرية او بلدة فضية خاصة بها أو بما كان قريبا منها.

ومن المجاز فلان فضانا فضي أي أخذ كل ما كان عندنا من المال .

قال حميدان الشويعر :

لو كنت في قصر حصين مشيَّد

فضـــوه من عدم الرجال وهان

ولو كنت تعطي كل يوم اخاوه

تبي البعد قالوا ذا جنـــابه لان

يريد أن ذلك القصر الحصين إذا لم يكن لديه رجال يدافعون عنه فإن الأعداء يفضونه أي يحتلونه ويستبيحونه .

وقال عبد الله بن حصيص من أهل شقراء في الغزل :

يا (وجودي) وجد مكسور الجباره

ســـاهر تســـعين لـــيلة ما يبات

أو وجود اللي فضى الحاكم دياره

وخذ ماله والحـــــــــريم مسلبات

و (الفضَّة) : - بفتح الفاء - الضريبة التي يفرضها الحاكم على أهل البلد أو يقوم أعيان البلد بفرضها على الأغنياء منهم ليعطوه إياها كل على قدر مقدرته المالية .

فضَّ الحاكم فَضَّة على الناس أي : فرض فريضة مالية ألزمهم بأدائها .

جمعها فضّاتْ .

وأما السجن فإنه قد يكون في (الدّبّاب) .

وهو السجن المطبق المحكم المُغْلق ومنه المثل: « في دباب ماله باب». وذلك أن (الدباب) لا يكون له باب بمعنى أنه يكون بحجم الغرفة التي ليس لها باب وإنما تكون في سقفها فتحة يُلقَى منها السجين ولا يستطيع أن يخرج منها لو أراد .

قال سليمان بن مشاري من أهل الداخلة :

من عذاب في (دباب) مالدباب قل: بسم الله

من مكان به سجان كنه جان مرصود له

وكان بعض الحكام يأخذ (الباج) من التجار والعابرين .

والباج : المكس والعشر كثيراً ما كانوا يقولون: الباج على البعير ريال.

أو صار على السكر باج أي مكس يؤخذ من صاحب البعير عندما يريد العبور بالسكر من بلد إلى آخر .

والحاكم الفلاني يأخذ العشر وهو جزء من عشرة أجزاء أو ١٠ ٪ من البضاعة الواردة .

قال ابن جعيثن :

عساي أشوفه يشعثه راعي (الباج)

وأفـــــتكّ زمله والجماعة ملابيد

ما اناب ورّادٍ على جـــــــوٍّ هداج

أشرب رسوس ما علـــــيهن وراريد

وهذا دعاء من ابن جعيثن على رجل يريد أن يسلط عليه صاحب الجمرك حتى يأخذ منه أباعره في مقابل ما عليه من المكس أو الباج .

الطعام والشراب

من الكلمات التي ماتت في العهد السعودي الزاهر الحاضر عظم الرجوعه، وهو العظم الذي طبخ وأُكِلَ ما عليه من اللحم ثم ألقي بعد ذلك ثم يطبخ ثابتة حتى يستخلص ما قد يكون فيه من الدسم فطبخه ثانية هو الذي يجعله يسمى (عظم الرجوعه).

وقد يقال فيه العظم الرِّجيع.

وكانوا في أزمان اللزبات والجدب يفعلون ذلك حتى يسأل الفقراء من هم أقل فقراً منهم أن يعطوهم عظماً رجيعاً أو (عظم رجوعه) إذا كان يوجد عندهم لأنهم لا يجدون إداماً يضعونه في عشائهم ولا يريدون أن يطبخوه على الماء وحده .

قال ابن جعيثن :

يوم شِبْت وصرت أنا العظم (الرِّجيع)

زارني عصر الصبا وأقفى وْفات

و (المحزر): هو أن يؤخذ الشحم فيقطع قطعاً صغيرة ثم يوضع في كرش خروف أو شاة وتغلق الكرش عليه ويفعل ذلك في فصل الصيف الذي هو فصل الربيع ، ثم يخرجونه إلى

الشمس في فصل القيظ حتى يذوب من حرها وتقتل ما قد يتولد فيه من دود .

ثم يكنزونه ويظهرونه في الشتاء عندما يقل اللحم والدسم ويضعونه مع الأطعمة يخثرها بل يعقلها ويزيد فيها كالعصيد والجريش تفعل ذلك بها بطريقة كيمائية إن صح التعبير.

كما أنه إذا وضع في القدر التي تغلي ويخرج منها الماء إلى خارج القدر أوقف ذلك .

قال عبد المحسن الصالح :

جَلْ عنك إن الخال دويني ولا لهَ نَفْسٍ طَمًّاحه

تحوّز له كرشة (محْزِر) صبح الكون وْلا صَباحهْ

و (البخص) – بفتح الباء والخاء - : وهو أعصاب الرجلين واليدين من البعير خاصة وهي أعصاب لا هبر فيها ولكنهم كانوا يأكلونها ويحرصون على ذلك قبل الرخاء الاقتصادي الأخير وهي صعبة الطبخ لذلك ضربوا المثل بذلك فقالوا : « طبخ بخص ».

وقد كان الفقراء والمحتاجون منهم يشترون عظام قوائم

البعير فيكسرونها ثم يطبخونها ينتفعون بأكل بخصها أي أعصابها لعدم قدرتهم على شراء اللحم والشحم من البعير .

و (الخقيقة) : دقيق قليل يطبخ في ماء كثير فيكون كالدويفة إلا أنه أطلق منها أي أكثر ماءً.

وإذا أكثر الماء على الأرغفة المطبوخة قالت المرأة : صار عشانا خقيقة.

وفي المثل: فلان يخقّ ويرق، أي يطبخ الخقيقة، ويصنع المرقوق .

و(الدويفة) : وهي العصيدة الرقيقة وأكثر ما تكون من الذرة أو الدخن لذلك تعتبر من أطعمة الفقراء والمحتاجين.

ومن المثل : « الدويفه عند الفقراء طريفة».

قال حميدان الشويعر :

ما دريت إن (الدويفه) طريفه

لين جيت البير جعله ما يسيل

و (الدِّقسيَّة) : نوع من الدخن يأكلها الفقراء والمحتاجون، وكانت تنتج بكثرة في بلادهم.

قال سليمان الرميحي من أهل عنيزة في فلاّح:

إلى بغى له خــــــــرجيه	حصـد له نقلة (دقسيه)
تكفيهم مصروف يوميه	كان أنه قنع وعـــياله

والنقلة: ما يستطيع الرجل أن يحمله وينقله من مكان إلى آخر .

و (القَرَم) – بفتح القاف والراء : شدة الشهوة لأكل اللحم كأن تمضي على الشخص مدة طويلة لم يذق فيها اللحم، فيشتد شوقه إليه، وتعظم شهوته لأكله.

والقوم: (قرمانين) على اللحم، إذا مضت لهم مدة لم يروه، واشتدت شهوتهم لأكله. مثل (خرمانين) إذا اشتدت شهوتهم لشرب القهوة أو للتدخين، و (عيمانين): إذا اشتدت شهوتهم للبن .

وفي المثل للشيء القليل الذي لم يسد حاجة من يتناوله أو يحصل عليه : « ما يَطْرِد قوم » أي لم يسد الحاجة، ولم يغــن من عوز.

ويقال كذلك أيضاً إذا كان غير جيد كاللبن الذي خلط بالماء الكثير حتى غلب عليه الماء.

قال علي أبو ماجد من شعراء عنيزة :

والجواب الهزل ما يطرد (قَرَمْ)

كان ما جنَّ البيوت مجوهرات

يريد بالجواب هنا : الشِّعْرَ، وبالبيوت أبيات الشعر.

و(طعام حافٌ): ليس فيه شيء من الدسم، والاسم الحفوف، أي: عدم القدرة على الحصول على شيء من الدسم في الطعام.

رجل حافٌ وقوم حافّون: بعيدو العهد بالدسم والطعام الطيب.

و الحِفُّ كالحفوف: قلة الدسم الذي يؤكل.

قال حميدان الشويعر في زوج السوء:

يظهر ببنتك من بيـــتك	ويْذَوِّقْها جوع وْ (حِفّ)
إن سلمت من ضربه بيده	ما سلمت مَن بُفّ وْتُفّ

ومن الألفاظ المتعلقة بخزن الطعام:

(القلقلة): بكسر القاف وإسكان اللام الأولى: واحدة القلاقل، وهي أعواد صغيرة ذات أصول غليظة تنتهي برأس مكور يعدها النجارون لتسقط رؤوسها في فتحات أعدت لها في المغلاق الخشبي من الباب بما يسمى عنهم بالسيف من

المِجرى – بكسر الميم – ويرفعها المفتاح بأسنانه الخشبية عندما يراد فتح المغلاق.

وربما كانت سميت القلاقل أخذاً من صوتها عند محاولة تحريكها ورفعها بأسنان المفتاح عندما يراد فتح المغلاق.

قال فهيد المجماج :

العيش من دونه صنْخاف المجاري

ومن دونه الصعلوك يردي نصيبه

و (قلاقل) تشدي أنياب الضواري

وربْع محاولهم علينا تعيبه

أي أن تلك (القلاقل) تشبه أنياب الوحوش الضارية لشبهها المادي بها، ولكونها يغلق بها دون الطعام الذي يحتاجه.

ومن الأمثال العامية في نفاد القوت وعدم وجود ما يخزن منه قولهم : « زَقّ العصفور على القلقة » يراد عندما ذرق العصفور على القلقه؛ لأنها متروكة بدون استعمال بعد أن ينفد الطعام الذي كان مخزوناً في المكان الذي أغلق بها .

ويكون ذلك عادة في آخر الشتاء، أو أول الربيع عندما ينفد المخزون من محصول العام الماضي من القمح، ولم يحن جني المحصول الجديد، وفي آخر فصل الصيف عندما ينتهي مخزون التمر من العام الماضي ولم يطب الرطب بعد.

وهناك أطعمة قل استعمالها، بل عدم في بعض الحالات مثل أكل الحوار .

و(الحوار): بإسكان الحاء وفتح الواو المخففة: ولد الناقة حديث الولادة.

ويسمى (حْوار) حتى قبل أن يولد، وذلك فيما إذا ذبحت الناقة واستخرج من بطنها.

وطالما رأينا الجزارين يعلقون حوار الناقة الذي لم يولد، وإنما كانوا ذبحوا أمه واستخرجوه من بطنها، وكنت أعجب وأنا صغير من كونه يؤكل بدون أن يذبح قبل أن أعرف أن الشرع يبيح ذلك كما جاء في الحديث: (ذكاة الجنين ذكاة أمه)، فذبح أمه كأنه ذبحه هو.

ولا يأكله إلا الفقراء، أو غير ذوي الأقدار، وذلك لرداءة لحمه، وكونه مليحاً لا طعم فيه.

جمع الحوار: (حيران) بكسر الحاء.

و (الدُّخْن) بكسر الدال: حب معروف كثيراً ما يقرن ذكره عندهم بذكر الذرة، وهو من مآكل الفقراء والمعوزين.

من أنواعه: المليسا والشامية والدقسية، وحبه صغار جداً في مقدار حب السمسم.

و(حَقَنْقَل الضَّبِّ): بفتح الحاء والقاف، وإسكان النون: هو معاء الضب: وأحد الأمعاء يكون مستطيلاً من أعلى بطنه إلى أسفله.

وبعضهم يقول فيه: حقنقل الضب.

ومن الأمثال في ذلك قولهم: « لو حقنقله، ما جبته أنقله».

قاله رجل اصطاد ضباً، فانتظر من آخر أن يرمي أمعاءه حتى يأخذها، ولما لم يفعل سأله ذلك الرجل أن يعطيه الحقنقل، فقال: هذا القول الذي سار مثلاً يضرب.

يقول: لولا حقنقل الضب لما اصطدته، يريد أنه يرغب فيه، ولا يكتفي بأكل جسم الضب.

الجــــراد

من المـأثورات الشـعبية الـتي تـدل علـى أشـياء انقرضـت وماتت، بسبب التطور الاقتصادي ما يتعلق بالجراد:

فقد كان للجراد في أطوار حياته أهمية كبرى عندهم؛ لأنها كان يأكل زروعهم، ولكنهم يأكلونه ويتبلغون بذلك من جوع، بل يستعيضون به مما فقدوه من اللحم، كما قالوا: « الجراد يرخص اللحم ».

هـذا مـع أن الجـراد كـان يجلب إليهم المتـاعب في اتقـاء ضرره على الثمار، وفي تطلبه واصطياده للأكل.

و(الجراد): جمع جرادة، هـذه الحشـرة الطـائرة المعروفة وهي كانت ذات أهمية كبرى عندهم في عهود الإمارات، بل حتى إلى ما قبل هـذا العصـر الاقتصادي المزدهـر الأخير الـذي أطل على النـاس ابتداء من العقد السابع من القرن الرابع عشر.

وذلك لكونها كانت مصدر بلاء وشقاء لهم، فـالجراد كـان يغـزو بلادهـم فيـأكل الأخضـر واليـابس، وبخاصـة ثمـرة النخلـة الـتي هـي عمـاد حياتـهم المعيشـية في الحضـر، وعشـب الأرض الـذي منـه تـأكل ماشـيتهم، فتصيبـهم المجاعـات ومـا يتبعـها مـن ضعـف الأجسـام نتيجـة نقـص التغذيـة، فتكـثر

الأمراض وقد يضطر بعضهم بسبب ذلك إلى الهجرة عن البلاد طلباً للعيش.

إلا أن الجراد كما أنه يسبب المجاعة، فقد يكون في بعض الأحيان سبباً في مكافحة المجاعة، وخصوصاً في أول مجيئه إليهم إذ يسارعون إلى اصطياده وطبخه بالماء، ثم أكله وتخزينه؛ لأنهم يصطادون منه الكثير فير تنقون به، وبخاصة في الأوقات التي يقل فيها اللحم عندهم في فصل الشتاء.

لذلك كانت للجراد منزلة كبيرة في المأثورات الشعبية من أمثال وقصص وأشعار يصح أن يؤلف فيها كتاب مستقل، وقد شرحت الأمثال في الجراد في كتابي: « الأمثال العامية» ، و «الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة »، فمنها قولهم: « الى طلع الجراد فانثر الدوا »، قالوا: لأنه يأكل من كل شجرة.

« جرادة بيدي ولا عشرة طيارة » في تفضيل القليل الخاصل على الكثير المتوقع.

« جراده تاكل ولا تشبع » للأكول الهزيل.

و« الجراد ما هوب بمصيده أمس » يضرب لمن أخلفه ما اعتاده من غُنْم.

و «الجراده مضمون لها كبر راسها لو من حصاة » في كثرة أكل الجراد.

و« الجراده من جراد والمحلية من ركاب ».

والمثل الآخر في أن المرأة تفضل الزوج الثري وهو قولهم:

« المره جرادِه ما تاقع إلا على خضرة »، أي الزوجة كالجرادة.

ويقول مفكروهم: الجراد من الكاينات، وهي النوازل التي تحدث في الناس.

قال حميدان الشويعر في الجرّادة:

يجي أمور ما يعرف قياسها

ويَدَقّ دقة عوشز (الجَرّاده)

من لا يصير بْقدر نفسه عارف

هذاك ثور ما علـــــيه قلاده

ويريد بعوشز (الجرّاده): شجرة العوشز التي يكون فيها جراد، وهي شجرة شائكة لا يمكن إخراج الجراد من بين أغصانها، لذلك يضربها (الجرادة) بالعصي الغليظة، وجذوع الشجرة حتى يخرج منها الجراد فيلتقطونه.

وهم (الجراريد) أيضاً :

قال ابن جعيثن:

عند العرب يقضي غرض كل محتاج

نقضي ونقبل كنّ حنّا (جـــــراريد)

وقد دخل الجراد في مجاز لغتهم وكناياتها إضافة إلى حقيقة كلامهم، فقالوا من المجاز:

جَرَّدَ فلان على وليمته إذا أكثر من الأشخاص الذين دعاهم لحضورها كأنها في الأصل من التجريد بمعنى المناداة إلى صيد الجراد حيث يفزع لذلك أهل القرية أو المدينة.

وكذلك للغزو يقال: جرَّد الحاكم أو الشيخ للغزو بمعنى دعا إليه أناساً كثيرين من نواحٍ مختلفة.

ومن الأمثال الشائعة عندهم قولهم: « قال: طلع الجراد ، قال: طلع العذاب ».

وطلع الجراد: وجد الجراد ، وذلك أن الجراد كان يغيب عنهم سنوات ، ثم يأتي لبلادهم لعدة سنوات متعاقبة ، ومعنى طلع العذاب: جاء العذاب، أو حل العذاب.

وذلك أن الجراد يأتي عليهم في الشتاء، فإذا كان البرد

شديداً أصابه القفص، وهو أن تتعقد قوائمه وأجنحته بسبب البرد، فلا يستطيع أن يطير.

وإذا بلغهم أنه واقع في الليل في مكان أسرع مخبرون منهم ممن عرفوا بذلك يخبرون أهل البلدان المجاورة، فينادي هؤلاء في المدن والقرى المجاورة والقريبة منه بقولهم: يا جَرَّادة، وهي جمع جرَّاد، يراد به الذي يخرج يصيد الجراد.

فينفرون إليه في الليالي الباردة على ما هم فيه من قلة اللباس الدافئ، والطعام المقوي، فيصلون إليه في آخر الليل حيث يطيب جنيه، ولكنه يبدو في الليل لا لون له إلا السواد، مع انه ليس بأسود، ويقع غالباً على شجيرات شائكة، وأحياناً يكون بين أشجار شائكة تشوك أيديهم من دون أن يروها، ولكنهم يصبرون على ذلك، حتى إن لم يحصلوا إلا على قليل من الجراد لسبب من الأسباب كما في هذا المأثور للفقير: « فلان شَوَّاي جرادة » أي أنه يشوي الجرادة الواحدة إذا صادها، ولا ينتظر حتى يجتمع عنده جراد كثير؛ لكونه محتاجاً إلى الأكل.

قال رشيد العلي من أهل الزلفي:

نجدٍ يكفّي من غثـاها عـــذاها

لو هي مقرّ ابليس في ماضي الأدهـــار

نركض، ومن صاد الجراده شواها

وللنـار يا مِرّث من المـــال ديـنار

والجراد التهامي: هو الكثير العظيم من الجاد.

نسبوه إلى تهامة لأنه يأتيهم في أول فصل الشتاء، أو آخر فصل الخريف من جهة تهامة؛ حيث يكون قد قضى الصيف في سواحل البحر الأحمر، أو ما وراء ذلك من إفريقية الشرقية.

قال مسعود عبد ابن هذال:

ملفاك عمي ناقل الغيظ والزّوْمْ

زيزوم قومٍ كالجراد (التهامي)

وَدُّوا سلامي عدّ ما فات من يوم

بكتابْ مني يا الوجيه الكرام

قال نافع بن خليفة من مطير:

أو وَجْد راعي زرع جـاه (التهامي)

جاه الجراد عْصَيِّر وْأصبح وْضحّىْ

وزرع مَجْرود: أكله الجراد، وعشب مجرود كذلك، وإذا أكل الجراد العشب في الشتاء، وأصابه مطر في الربيع، فإنه يجود، يقولون لأن قوته تكون في جذوره، فيكون أقوى لنباته في الربيع.

ولذلك يقولون في أمثالهم: زرع مجرود؛ بمعنى أكله الجراد، مثلما يقولون: زرع مصرود، أصابه الصرد، وهو البرد الشديد في أول الصباح.

قال فهد الخريصي من أهل الزلفي:

رعيت عشب القنر ما هوب (مجرود)

وجليت عن كبدي غثيث النحاز

مديت صبح السبت جنبت أبا الدود

وحطيت بالمنكب طوال النوازي

وأبا الدود: قرية في الأسياح بالقصيم.

وقَصْمول الجرادة: رجلها أو يدها، جمعه قصاميل.

وطالما سمعناهم يقولون في القديم: هاتوا لنا (قصاميل) جراد. وذلك أنهم كانوا يأكلون الجراد، ويلقون بأطرافه من أرجله وأيديه زهداً بها، حتى إذا نفد الجراد الذي عندهم،

وأكلوا التمر، فاحتاجوا إلى ما يأكلونه بعده، طلبوا هذه القصاميل يأكلونها، وإن كان حاصلها قليلاً.

ومن المجاز قولهم لرجلي الطفل النحيل: « قصاميل ».

وفي الأمثال: « تقول الجرادة: الهيت الخرقا بقصمولي الهيتها عن سوا عشاها ».

وذلك لأن قصاميل الجرادة لا يشبع منها الإنسان لعدم حاصلها، وذلك لأنها دقيقة مجوفة، وليس فيها طعم الجراد، ومن عادتهم في الجراد أن يأكلوا أجساد الجراد ما دام متوفراً، ويرموا بأطرافه ورؤوسه جانباً، حتى إذا فني الجراد عادوا إلى ما تركوه منه فأكلوه.

و (الدقوقة): ما يدق من أطراف الجراد ورؤوسه، فيسف اتقاء لأكل مخالبه الخشنة الشائكة إذا أكل بدون دق، فيدقونه دقاً، ويسفونه، يسمونه: (دقوقة).

والدَّبَى: صغار الجراد، أو على الأدق أولاد الجراد؛ لأنه ليس بالجراد الصغير الذي يشبه الجراد كما تشبه الحيوانات أولادها، وإنما هو صغار الجراد في طور من أطوار حياته قبل أن يصبح جراداً طائراً.

وذلك أن الجرادة تضع بيضها وهو على هيئة حبات الأرز في باطن الأرض؛ حيث تغرز ذنبها في الأرض السهلة، وبعد فترة يخرج ذلك البيض وقد تخلق على هيئة حشرات صغيرة، لذلك يسمونه نميلي، ثم (قُعَيْسي)؛ لأنه على هيئة القعس، وهو نوع كبير من النمل، والنميلي كالنمل المعتاد، ثم ينمو ويكبر، وله أسماء مذكورة في المأثورات الشعبية.

واسم ذلك الذي يخرج من الأرض من أولاد الجراد إلى أن يطير الدبى، وهو اسم عام له.

وكان بعضهم يخرجون إليه إذا توجه إليهم، فيحفرون الزبى – جمع زبية –، وهي الحفيرة المستطيلة في طريقه، ثم يأخذون معهم عسبان النخل ويضربونه بها إذا سقط في الحفيرة يقتلونه، ويحولون بينه وبين الدخول إلى القرى أو البساتين.

ومرة أنه جاء (دبى) عظيم، ذكر أنه مقبل على المدينة، فنادى أمير البلدة في الناس بالخروج والتصدي له قبل دخوله، فأغلقت الحوانيت، ونفر الناس، وترك أهل الصنائع صنائعهم، ولم تكن آنذاك توجد دوائر رسمية غير الإمارة، ومدرسة واحدة.

وخرج الناس إليه، ومعهم عسبان النخل والمساحي التي

يحفرون بها الأرض لكي يقتلوه ويهيلوا عليه التراب، ويكون قتله بضربه بعسب النخل، وأغصان الأثل، ثم دوسه بالأرجل، وإهالة التراب فوق الحفرة التي قتل فيها، ولذلك كان من أدعيتهم المعروفة: عسى الدّبى ما يلحق امهاته. وأمهاته هي الجراد.

وذلك لأن طبيعته القضاء على الزروع والأعشاب الذي ينتج عنه المجاعات والمساغب.

يقال في الدعاء على المؤذي من الحيوان والإنسان.

والدبى: أضر على الأرض من الجراد إذا أريد به الجراد المعتاد الذي يصاد ويؤكل، وهو البحري الأحمر الذي يسمى: بالتهامي، ثم يكون أصفر في فصل الربيع.

أما إذا كان يراد به الخيفان، فإن ذلك غير صحيح؛ لأن الخيفان يهلك الزرع والأشجار أكثر من (الدبى).

غير أن الدبى إذا كثر سقط في الآبار فملأها، فأنتنت ولم يستطع الناس الوصول إلى مائها، وإذا لم يجد الدبى شيئاً يأكله فقد يأكل حتى أبواب المنازل.

والدبى لا يسير أول ما يخرج من الأرض وهو صغير، أما

إذا كبر فإنه يسير ولا يقف، ويأكل ما في طريقه، ولا أزال أذكر (الدبى) وصل إلى بلدتنا عندما كنت شاباً، وقد رأيته يقبل وكأنه الماء الذي يجري؛ لأنه يتجه جميعه إلى جهة واحدة، مع طريق ترابي رملي أحدثته السيارات، فكنت إذا رأيته وتموجه في سيره ذكرت السيل الجاري الذي إذا نظر فيه الرجل أصابه الدوار، وكان الناس في نجد يأكلونه أيضاً في اللزبات وأزمان الجدب.

ويضعون المأكول منه بأنه حاير لا ساير، دغمان لا كتفان فيه.

أي أنه الدبى قبل أن يسير ويبعد، وهو لا يفعل ذلك إلا إذا كبر، ويكون آنذاك خشناً يصعب بلعه.

وهو الكتفان الذي ذكروه، أما الدغمان، فهو الأصغر سناً وحجماً من الكتفان.

وهذا من أسماء الدبى في أطوار حياته.

وواحدة الدبى: دباة، وتوصف الطفلة الضئيلة الجسم الضعيفة البدن بالدباة.

ويضربون المثل للكثرة بالدَّبى، وذلك لأن الجرادة الواحدة تبيض – فيما يقولون – ٩٩ بيضة، كل بيضة مثل

حبة الأرز، تكون كل بيضة دباءة واحدة، وناهيك بكثرة الجراد.

قالت راجحة البقمية:

يا ما لقلب فيه كُثرْ (الدبى) ودّ

حيث الدّبى لى سار ما أحْرِ يعدّه

في كل دارٍ ودّ، وازريت لا عدّ

والقلب له مع كل حيٍ موده

الأعشاب المأكولة

كانوا يأكلون من عشب الأرض الذي تأكله الماشية في العادة، وليسوا يفعلون ذلك تطرفاً أو اشتياقاً له كما يفعل بعض أهل العصر الحاضر في بعض الأوقات، وإنما كانوا يفعلون ذلك بسبب الجوع يرتفقون به، ويدفعون عنهم الجوع.

ولهم أمثال ومأثورات في الأعشاب التي يأكلونها مثل: الحواء، والبسباس، والحمبصيص، والذعلوق، والحوذانة.

فالحُوّا بضم الحاء وتشديد الواو: عشب بري معروف يأكله الناس، واحدته: (حُوّاة) في العامية.

ومنابته الأراضي الطينية، وله نوارة تكون في أعلى عود قائم وسحله إذا هاجت أي مضى عليها الوقت.

وفيه المثل: من أكل الحوّا تلوى، وأوجعه بطنه وعوّا.

وذلك لاعتقادهم أن أكله غير محمود العاقبة في البطن.

ويقول في الخلط بين الأمور وعدم التفريق بينها:

« فلان خلط الحوا مع البسباس ».

و(الذعلوق): هو عشبة صحراوية يأكلها الناس لذيذة الطعم، يكون فيها ما يشبه اللبن الخفيف الحلو إذا كانت

غضة ريانة.

ومنه المثل: « لقيت ذعلوق، حلا ما أذوق، لبين أمي، ولبين النوق »، جمعه: ذعاليق.

تقوله المرأة أو الصبي عندما يجد ذعلوقاً في الأرض، فيقتلعه ويأكله، وهو من العشب المأكول المحمود العاقبة عندهم، فليس هو كالحواء الذي يؤكل مثله، ولكن الإكثار منه يؤذي البطن.

ومن أمثالهم في الذعلوق: « إلى شوك الذعلوق ترى النقع نابي ».

و(التَّرْبة) بفتح التاء: عشبة صحراوية من عشب الربيع يلزق بها التراب، ولذلك سميت تربة، لا تكاد تأكلها الماشية إلا إذا لم تجد غيرها، وذلك من أجل التراب الذي يكون فيها.

ومنابتها الأماكن الرملية السهلة.

كثيراً ما سمعت والدي – رحمه الله – ينشد هذا البيت للحريص الذي يمنعه حرصه من التمييز بين الأشياء:

تركض على (التربة) تحَسْبَه ذعاليق

وتركض على الدمنه تحَسْبَه يبيسه

وذلك لكون التربة شبيهة بالذعلوق، والدمنة: بعرة البعير، واليبيسة: الثمرة اليابسة.

أو كالحمبيصص الذي قالوا فيه: أكل الحمبصيص، يدعى البطن له وصيص: أي صوت دقيق.

والذعلوق نوعان: أحدهما: ذعلوق الجمل ، ينبت في الأودية ، والأماكن الصلبة الطينية ، والثاني: ذعلوق الناقة ، وهو أغض وألذ وأخف هضماً ، وهو مفضل في الأكل لديهم، وينبت في الأرض السهلة.

والأول يكون له في آخر الصيف أي فصل الربيع علك يسمونه علك المحلي.

قال غانم الغانم من أهل الزلفي:

صار قرض العرض بالسهم الرخيص

ما دروا عن ربنا عـــنده قصاص

ما يعرفون الشري و(الحمـــبصيص)

واللبن والزُّبْد وحثـــــال الرياص

قرن الشري: هو ثمر الحنظل شديد المرارة بالحمبصيص الحلو اللذيذ الطعم، ويريد أنهم لا يفرقون بين الجيد والرديء.

ومن الحبوب البرية التي كانت تؤكل في المجاعات مع قلة الحاصل، منها:

(الدَّعَاع): بفتح الدال وتخفيف العين: عشب بري له حب صغير جداً، يجمع ويؤكل في أزمان القحط والمجاعات.

يقرن ذلك كثيراً بذكر حب بري أيضاً اسمه السمح.

ورد ذكره في أشعار بني هلال عندما عم الجدب بلاد نجد، وعدمت فيها الأقوات، ومن ذلك قولهم:

ماكولنا حب (الدَّعاع)، وخلطه

سَمْح، وعيد الغانيات شعير

والدعاعة: عشبة تنفرش في الأرض ولا ترتفع، وتنبت في مجاري الأودية الطينية، وفي الرياض، وورقه فيه رطوبة حتى كأنما هو أنابيب صغيرة قصيرة فيها ماء، لذلك ينفضح عند الوطء.

فالشاعر الهلالي يذكر أن أكلهم كان من الدعاع والسمح، وأما الشعير فإن الغانيات لا يأكلنه إلا في يوم العيد، أو في المناسبات التي يحتفلون بها كما يحتفلون بالأعياد، وذلك لفرط ما كان أصاب نجداً آنذاك من الجدب

والمحل.

و(السَّمْح) بفتح السين وإسكان الميم: حبوب صغيرة جداً تخرج من شجرة برية تسمى بهذا الاسم، وكان الناس يجمعون حب السَّمْح هذا في اللزْبات والمجاعات في الماضي، ويطحنونه ويعجنونه يصنعون منه الخبز والعصيد فيرتفقون بذلك.

مع أنه لا يخلو من التراب لدقة حبه، وصعوبة تخليصه من التراب الدقيق، ولكنهم يلجأون إليه عندما يعدمون الحبوب المأكولة.

قال بعضهم ملغزاً في شعره، وسماه (قيلا):

قيلي كما (سَمْح) تِبَدَّد بْضاحي

يا من يعزل (السَّمْح) والرمل غاطيه

فأجابه آخر، ويقال إنه القاضي:

نسقيه من نوٍّ الثريا رواح

ينبت على دور السُّنه ثم نجنيه

يريد أن شعره كالسمح الذي تبدد في الضاحي، وهو الرمل الخالص، فكيف يمكن تخليصه من الرمل، وذلك

لتساوي حجم الحب من السمح بالحب من الرمل.

فقال الشاعر الآخر: نسقيه من نوٍّ الثريا رواح، يريد نسقيه الماء حتى ينبت، ثم نجنيه حباً جديداً؛ لأن الحب الأول لايمكن تخليصه من الرمل.

ويأكلون الهبيد، وهو حب الشري الذي هو ثمر الحنظل المشهور بمرارته.

كان الناس يأخذونه من الحنظل مع ما يعانون في ذلك من مرارة الحنظل، فينقونه مما يكون علق به من شحم الحنظل، ثم يغسلونه مراراً حتى إن بعضهم يتركه في الماء الذي تخرجه الإبل السانية من البئر ثلاثة أيام، حتى تذهب المرارة التي فيه، وهي لا تطاق قبل ذلك.

وكان أهل القرى في وقت الأزمات يدقونه ويدوفونه ويطبخونه ويحتسونه، وأما أهل المدن فإنهم يستعملونه بمثابة النقل من النقول، أي كما تستعمل المكسرات، مع قلة ما يحصل منه من لب، لأنه حب صغير جداً.

و(القصيل): من نبات القمح والشعير ونحوهما، هو الذي يحش ويقطع دون أصوله، قبل أن يبدأ سنبله بالظهور بغية أن ينبت مرة أخرى.

قال حميدان الشويعر:

انا اختار نومي فوق صوانة الحصا

ولا جودري في بلاد هـــــــــوان

ولو كان ماكــولي جرادٍ وخِلْطه

(قصــــــيل) وانا لي في العزة شان

وذكر (القصيل) هنا لأنهم كانوا في أزمان المجاعات إذا لم يجدوا الحبوب والتمر ونحوهما من الأطعمة أكلوا القصيل مع معرفتهم بكونه وحده لا يغذي الجسم.

السفر والانتقال

لقد عرف الجيل الحاضر الذي نشأ في حكم الملك عبد العزيز، أو حكم أبنائه الملوك الكرام، السفر بأنه متعة وتسلية، فكان الناس كباراً وصغاراً وأطفالاً، رجالاً ونساء يتحينون أوقات الفراغ والعطل ليسافروا في أنحاء المملكة العربية السعودية الواسعة، أو خارجها من أجل التنزه والتفرج برؤية البلاد والناس، أي من أجل الأنس والراحة، ولم يكونوا يعلمون أن السفر قبل عهد الملك عبد العزيز كان مدعاة للكدر؛ بل للخطر إذْ كانت الطرق مخوفة مليئة بالمغيرين والمنتهبين، وهذا ظاهر.

وكان المسافرون عرضة لأخطار أخرى مثل الموت عطشاً عندما يعدم الماء بأن يضل الركب عن الطريق إليه، أو يجد عليه أعداء يصدونهم عنه، أو عندما تغور مياه بعض الموارد في الصحراء، فلا يجد المسافر ماء يخرجه منها.

ولذلك حفلت الألفاظ الشعبية بالأوصاف التي تدل على الأخطار تلك، مثل:

(الدَّاوية): وهي المفازة في الصحراء، أي الأرض الخالية من العمارة والمياه.

قال راشد الخلاوي:

ومن يضرب (الدَّاويَهْ)إلاَّ بنادر

سليم الأيادي ، والعيون صحاح

وقال عبد الرحمن العامر من أهل الزلفي:

أونٍّ ونة واحدٍ بـــــــاول الصيف

بمظاميِّ الصمان خـــانه صميله

بْ (داوية) ما شاف زولٍ ولا شيف

يصفق بكفه ويتـــــــزايد غليله

وكذلك (الدّو):

قال حنيف بن سعيدان من مطير:

ربي أستعينك يوم ماتَتْ ذلولي

حمـــرا تْوَرِّد يوم طال المحالِ

لَى جَنٍّ مع (دَوٍّ) سرابه يهول

مثل النعام اللي حداه الْجْفالِ

يصف الإبل في عدوها وسط سراب الـدو ، وهـو البريـة الخالية من العمارة ، ومن موارد المياه ، بالنعام الذي فيه جفال ،

وهو الفزع والخوف من أن يصاد.

وقال راضي الشحمى من عنزة:

تركتكم يا ناس مير اتـــــركوني

ترك الدول الى تــــــــداعَوْا بْفَرْقى

يا ما على (عُوص) الركاب تبعوني

من فوق حمرا تسرق (الدّوّ) ســــرقا

والحمرا: الناقة النجيبة.

و(المظْماة): المكان الذي لا ماء فيه، وإنما ينقلون الماء فيه بالقرب – جمع قربة -، والمزادات إذا مروا به، أو أنهم يقيمون فيه في فصل الشتاء حيث تقل الحاجة إلى الماء.

ويستغني بعض الأعراب عنه بشرب اللبن إذا كان الربيع قد كثر

جمعها: مِظامي بكسر الميم الأولى والثانية.

ويضربون المثل (بظما الدهنا) لقلة الماء وعوزه، والدهنا: هي المنطقة الرملية في شرق الجزيرة غرباً من الصمان.

يريدون بذلك ما يلحق الإنسان من الظمأ في الدهنا ، وذلك لكونها مجموعة من الكثبان الرملية الخالية من الآبار والموارد.

ومن خرافات العرب: أن لقمان العادي كان إذا أراد أن يسقي إبله حفر لها بظُفُره؛ حيث بدا له فسقاها ، فلذلك ضربوا بشدته المثل، إلا الصمّان والدهنا فإنهما غلبتاه، فلم يستطع استخراج الماء منهما.

قال عبد الله بن غيث من أهل بريدة:

كم مارد في غرة الصبح مدهوم

نقـــــزي ونوردهـــن قراحٍ زْلال

(مظـــامي) ما بَهْ صديقٍ ولا قوم

احْذا الوحوش ومهرف الذيب جالِ

وفي أماكن معينة لا توجد الآبار، ولا يوجد الماء إلا في الدحول، جمع: دحل.

و(الدَّحَل) بفتح الدال والحاء ثم لام: ماء يكون في باطن الأرض يوصل إليه بالنزول رأساً من سطح الأرض فيما يشبه البئر القريبة الماء، إلا أنه ليس فيه ماء، ثم يسار إليه في باطن الأرض حتى يوجد الماء هناك.

ويكون المكان مظلماً موحشاً، وأحياناً يكون مضلة؛ بحيث قد يضل من يدخل الدحل - بالحاء المهملة - سواء في الدخول إليه في باطن الأرض المظلم قبل الوصول إلى الماء، أو يضل عنه بعد ما يجعل الماء في قربته، أو إنائه، وينصرف للخروج منه إلى سطح الأرض.

وذلك لكون بعض الدحول لها طرق عديدة متشعبة في باطن الأرض، وكلها مظلمة.

وبذلك حدثنا من دخل الدحول من بني قومنا أن الناس كانوا يربطون أنفسهم بحبل طويل يمسك به من يكون خارج الدحل على وجه الأرض حتى يهتدي به الداحل - بالحاء المهملة - عند الخروج إلى سطح الأرض، وطالما سمعوا عن أناس هلكوا في هذه الدحول أو أوشكوا على الهلاك.

قال عبد العزيز العبيدي من أهل الزلفي:

ساري طول الليل و(الدَّحَل) ما يدله

ما لقى لــــه حدٌ يعطيه حمض الْعلام

عنــــز ريم تقــــود الصيد دقهْ وجله

أخلــفت ناقل البــــندق سريع الولام

وقال ابن جعيثن:

عقب الخباري شربناصار (بذْحُولْ)

والزّاد شوف تجـــــــارنا جاحدينه

والخبارى: جمع خبراء، وهي الماء المجتمع على وجه الأرض.

وحتى إذا وجدوا موارد للماء، فإن آبارها، أو بعضها تكون متغيرة الماء، منتنة القاع، بحيث أن من يصل إلى قاعها يموت من فساد الهواء داخلها، وهو ما عبروا عنه بقولهم:

بير صارية ، بتخنيف الياء، أي مضت عليها مدة من الزمن لم يستخرج منها ماء، فتغيرت رائحة مائها، وفسد الهواء في أسفلها، فهي خطرة على من ينزل فيها أن يموت بسبب نقص الأوكسجين فيها، أو وجود غازات سامة ناشئة عن ذلك.

والصرى، بفتح الراء، هو أن تكون البئر كذلك.

قال ابن عيد صاحب البرة:

إن جا الشتا تشكي النِّضا من عذابه

والقيظ له فوق الاوشـــــــدة مقابيل

وأن علّق المخـــــــرّف حويل زهابه

يشـرب (صرى) من عقب شـرب الشهاليل

يمدحـه بأنـه يركـب المجـاهل، ويخـوض المخـاطر، فيتجنب الآبار المعروفة المطروقة ذات الماء الصافي، ويشرب من الآبار المهجورة طلباً لغرة الأعداء، أو لتضليلهم عن طلبه.

وذلـك بعـد أن كـان يشـرب مـن الشـهاليل في الحضـر، وهـي المياه العذبة الصافية.

وقال ابن شريم:

إقبل النـــــــايده يا بعيد المزارْ

واحتسب للمساري وشرب (الصرّى)

وارتكاب الشدايد وســج الركاب

واكتســـــاب المعزّهْ مع أي الـــورى

وهـذا حـث علـى الصبر علـى السـرى، وهـو السـير في الصحراء في الليل، وعلى شـرب المياه الفاسدة غـير النقيـة في سبيل الحصول على العز والغنم.

وإذا لم يكــن هــذا ولا ذاك، فــإن (الدلــو) الــذي

يستخرجون به الماء من البئر قد ينقطع رشاؤه، وهو الحبل القوي الذي يجذب به، فلا يستطيعون الحصول على الماء.

فمن أمثالهم: (طاح الدلو واوذامه) مثل يضرب في انعدام الحيلة، وفقد الوسيلة.

وأوذام الدلو: ما يربط به الرشأ منه، ويكون من الجلد.

وقد يجدون في البئر موانع أخرى كأن يقع شيء في البئر، أو القليب يكدر عليهم ماءه كقولهم:

(الذيب في القليب).

وقد يجدون على مواردالماء ما يسمونه بالراصود.

وهو الحية التي تكون قرب الوارد تلسع من يرد إليها.

يقولون: والله مارد زين لكن عليه راصود.

ويعتقد بعض الأعراب منهم أن (الراصود) وهو الحية الذي يكون على مورد الماء ونحوه، إنما هو من الجن، وأنهم إذا قتلوه فإن أهله من الجن يلحقون الأذى بهم أو بذويهم، ويروون في ذلك حكايات لولا خوف الإطالة لذكرت بعضها.

قال سعيدان محلوع ننى في الغزل:

جــــرحى لجا ما عــــاد يلقى ذروره

وكبدي تدريق فوقها سم (راصود)

ذكر أن كبده قد غشاها سم الراصود من الحيات.

وحتى إذا لم يكن هــذا ولا ذاك، فـإن السـفر حـافل بأخطار لسع الحيات السامة الموجودة في الصحراء؛ لا سيما إذا سار المسافرون ليلاً، وهم يفعلون ذلك كثيراً اغتناماً لبرودة الجو في الليل في أزمان الحر.

وهم يجمعونها على : حيايا.

وفي المثل: « فلان يدخل على الحيايا بجحورها ».

يضرب لمن يعرض نفسه للأشرار والمؤذين.

وقولهم في كثير الأسفار في الصحـراء وبخاصـة سـرى الليل:

« فلان ياطا على روس الحيايا » وخصوا رأس الحية؛ لأنه الذي فيه نابها وسَمّها.

وإذا سروا، وهـو أن يسيروا في الليـل كـانوا معرضـين للضياع في الصحراء وفقدان الاهتداء لموارد المياه، لا سيما إذا لم يكن الجــو صافيــاً، ولم يستطيعوا الاهتـداء بـالنجوم،

فيلجؤون للتسعيد.

و(التَّسْعيد) في السفر أن ينادي الركب الذين يسرون، أي يسيرون ليلاً بلفظ: (يا سْعَيِّد): صيغة تصغير سِعيد.

فيقول أحدهم: (يا سْعَيِّد) ويجاوبه الآخر يا سْعَيِّد، يستعين كل واحد من القائلين بذلك على مقاومة النعاس على ظهور الإبل، ومن ثم بالتأكد من كونهم لم يضلوا الطريق؛ لأنهم إذا كانوا غير نائمين فإنهم يهتدون بالنجوم في سيرهم، أو بطبيعة الأرض.

وغالباً ما كان يقول بعضهم على سبيل التنغيم:

« رَبْعك سَرَوْا يا سعيّد » فيجيبه صاحبه الآخر بمثل ذلك: « رَبْعَك سَرَوْا يا سعيّد ».

قال عبد المحسن الشويقي من أهل منطقة الرياض:

يا شيخ نَبِّه بالنـــــداوي مالنا بالمقام

الجيش ربَّع واستوى المرياع هو والسبيب

يا ما حلا قولة (سْعَيِّد)في جناح الظلام

قدام نمرا من تبــــين في نحاها يغيب

واسم ذلك كله التسعيد.

قال ابن شريم في الملك فيصل بن عبد العزيز قبل أن يلي ولاية العهد:

كما جَرَّها لِبْلاد صنعا من الشَّنا

وعزِّلْ بيارقها وكلّ على فاله

وْصَوَّتْ (لِسعيد) يقرن السير بالسَّرَى

دليلة هل التوحيد ما همب ختاله

ومن أصعب الأمور في الأسنار قبل حكم الملك عبد العزيز رحمه الله اعتراض الغزاة والمنتهبين المسلحين للمسافرين الذين يضطرون إلى النزول عن ركائبهم واتخاذها متاريس؛ بحيث يرمون الأعداء وهي بينهم وبين أعدائهم ويسمون ذلك (الحلبَّة).

و(الحلبَّة) خلف المطية عندما يواجه الركب أعداءه فيضطر أفراده إلى النزول عن المطية من جهة خلفها حتى يجعلوها متراساً بينهم وبين الأعداء المقابلين من الأعداء ويظلون يقاتلون وهم على هذه الحال.

قال أبو عباد الخشقي من أهل عنيزة:

ربعي عطيـــبـين الضرايب

بالكون يخْلون الأشــــدّه

وأن طبحوْا خلف الركايب

كم عايل عنـــــهن نردّه

يقـول: إنـهم إذا نزلـوا خلـف الركـايب، فإنـهم يـردون الأعـداء، والمـراد بذلـك نزولهم من ظهور الركـائب إلى الأرض لمقاتلة الأعداء الذين يواجهونـهم، وهـذا معنـى قولهم: بـالـكون يخلـون الأشدّه، وهـي جمع شـداد الـذي هـو الرحل على البعير حيث يركب الراكب.

وقال ضيدان العارضي من مطير وذكر طبحوا بـدلاً مـن (طبّوا)، وهي في معناها:

طبحوا لابتي في كل مســـلوبه

واقفـت الخـــيل بها الدم شلاّل

جيشـــنا ما ركبها كل زارويه

كود من هو عريب الجد والخال

لابتـه: جماعتـه. والمسلوبة: البنـادق. والزارويـة: الجبـان المخذّل من الأشخاص.

التاريخ بالمصاعب

كان الناس يؤرخون للمواليد والأحداث بالسنين التي تحدث فيها مصاعب؛ بل مصائب كالوباء والوقعات الحربية، والجدب، مثل:

(سنة الجوع): هي السنة التي حل فيها الجوع بالناس، وكان الناس يسقطون فيها موتى في الشوارع من الجوع.

و(سنة الرحمة): لكثرة من مات فيها من الناس، وبعضهم يسميها (سنة الصخنة) التي تعني حرفياً: سنة الحمى، لأنهم يريدون بالصخنة هنا المرض والوباء.

وهكذا كانوا يؤرخون بالسنوات التي وقعت فيها أحداث جسيمة.

وقد يؤرخون ويذكرون بأقل من ذلك مثل قولهم:

(سنة الشيص): أي سنة أن صار طلح النخل فيها شيصاً كله أو أكثره، فأصاب الناس جائحة لذلك، فقل التمر، وعدم عندهم، وهو من أهم ما عندهم من الغذاء، والشيص أن لا ينعقد التمر في النخل؛ بل لا يكون تمراً.

وسنة الجراد، و(سنة الدبى): وهو صغار الجراد.

وكما يؤرخون بالسنوات التي وقعت فيها الوقائع الحربية المهمة مثل (سنة جودة)، (وسنة المليدا) عندما هزم أهل القصيم علي يد محمد بن رشيد، وسنة البكيرية، وهي عام ١٣٢٢هـ عندما هزم آل رشيد على يد الملك عبد العزيز آل سعود ومن معه من أهل القصيم. و(سنة جراب) وهكذا.

الخرافات

كانت بلادنا مثل أكثر البلدان الإسلامية تسودها الخرافات، والاعتقادات الفاسدة التي لا تتفق مع نقاء الإسلام وصفائه؛ بل تناقضه مثل البناء على القبور تعظيماً للمقبورين، والاعتقاد بالمقبورين بأنهم ينفعون أو يضرون، وطلب الحاجات منهم، والنذر لهم، والخوف من ضررهم إلخ.

فبعث الله الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فقام بالإنكار على من يفعلون ذلك، ونادى بالعقيدة السلفية النقية التي كان عليها النبي ﷺ وصحابته الكرام، والتابعون لهم بإحسان، وبهدم الأبنية على القبور، وتسويتها بالأرض، وأوضح أنه لا يجوز أن يرفع القبر عن الأرض إلا قدر شبر، كما أوضح للناس الأمر الأهم، وهو أن المسلم لا يجوز له أن يعلق قلبه إلا بالله محبة دينية، وخوفاً دينياً، فلا يدعو إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يخاف غيره، وأن هؤلاء المقبورين من الأولياء والصالحين إنما انقطع عملهم بوفاتهم، ومفارقتهم للدنيا، وإلا ما ورد في الحديث: أنه (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به بعده، وولد صالح يدعو له).

فهم بحاجة إلى من يدعو لهم، ويسأل الله لهم الرحمة والمغفرة.

وقد قام بمعاضدته وإنفاذ دعوته الكرام من آل سعود على رأسهم الإمام محمد بن سعود رحمه الله، وجزاه عن المسلمين خيراً، فطهروا البلاد من هذه البدع والخرافات والاعتقادات الفاسدة.

ولكن بقيت في نفوس بعض الجهال من أهل البادية وأطراف البلاد هنات من الخرافات التي لا تتعلق بالقبور، ولكن تتعلق بالنفوس من الخوف من الجن والشياطين، والإصابة بالعين، والأمراض التي تنشأ من ذلك.

وحتى هذه كانت تختفي إبان فترة الحكم السعودي، ولكنها تظل كامنة، وتظهر بعد ذلك، وقد قضي عليها في عهد الملك عبد العزيز آل سعود، حتى أصبح الجيل الجديد لا يعرف عنها شيئاً.

ومنها: كراهية الزواج في ليلة الأحد؛ لأن دخول المرء على زوجته في ليلة الأحد كان عندهم مكروهاً يتشاءمون به، ويريدون بليلة الأحد الليلة التي يسفر صباحها عن يوم الأحد، وهي التي تسمى الآن عند الكتاب بليلة السبت.

قال أحدهم في رجل تزوج في ليلة الأحد:

ورا عرسك ليـلة (الحَدْ)　　　عَمْيَتْ عينك إن شفت أحَدْ

أي: إن عينه ستعمى إن رأى زوجته، يريد من ذلك أنه يجزم بأنها ستهرب منه؛ لأن ليلة الأحد -على زعمه- غير مناسبة للدخول على الزوجة فيها.

ومثله:

(قُرَيص الأحد)، ويقال: قريص لحد، بمعنى ليلة الأحد: وهو قرص من القمح يصنع بطريقة معينة، كانت العذارى، وهن الشابات غير المتزوجات، ولكنهن على أهبة الزواج، يصنعنه ليعرفن منه حظهن في زواجهن المأمول.

سمعت وأنا صغير عجوزاً منهن تحدث قالت: كنا خمس بنات، كلهن وصلن سن الزواج، فأشارت عجوز جارة بأن نصنع (قريص لَحَدْ)، أي قرص الأحد مصغراً. قالت: إن شرط هذا القرص أن يكثر فيه من الملح؛ بحيث أن من أكلت منه تشتهي أن تشرب الماء، ولكنها تمنع نفسها منه ولا تذوقه، بحيث تنام وقد أخذ منها العطش مأخذه، فترى في منامها شيئاً تؤوله على أنه يدل على مستقبل زواجها .

فقرصنه على الجمر، وأكثرن فيه من الملح، ولا بد أن يكسر على رأس فتى شاب غير متزوج، ولكنه في سن الزواج،وأن يكون كسره على رأسه وهو غافل أو نائم، أي من حيث لا يشعر، ولا بد أن يكون ذلك ليلة الأحد.

قالت: وقد فعلنا ذلك، وكسرناه على رأس فلان وهو شاب قريب لها ، ثم أكلت كل واحدة من البنات الخمس قطعة من ذلك القرص المشبع بالملح .

قالت العجوز: وتفرقنا ، أما أنا فقد رأيت فيما يرى النائم أنني راكبة على حمار قد عمي، أو قالت: عيناه عليهما غطاء، فكنت أضربه لكي يسير، فلا يفعل، ولكنه يدور وهو في مكانه.

وأما فلانة ، فإنها رأت في منامها أنها بغاية العطش، فرأت بركة ماء (جابية)، ففرحت بها ، وأقبلت تشرب غير أن بقة وقعت في المكان الذي تشرب منه من البركة ، فنفخت عليها فطارت.

وأما فلانة وفلانة فقد رأت كذا.

قالت: وقد تحقق حلمي، إذ لم أوفق في زواجي، وأما الأخرى فإنها تزوجت ، ثم تزوج زوجها عليها بأخرى، ولكنه

طلقها، فنسرتها بأنها تلك البقة.

هذا وقد عهدنا في أول الأمر أن (قريص لحد) يضرب للاعتناء بالطعام، فيقال: سوى له (قريص لحد)؛ لأن الناس لم يكونوا يعتقدون بهذه الخرافة، وأما الآن فقد مات لفظه ومعناه، ولكننا سجلناه للمعرفة بما مضى وانقضى، وتسميته من كونه يفعل في ليلة الأحد.

ومن المأثورات الشعبية في هذا الصدد قولهم:

طفل (مْبَدَّل)، وهو الذكي جداً الذي فاق في ذكائه من هم في مثل سنه، وبخاصة إذا كان لم يرافق نمو عقله نمو زائد في جسمه.

يريدون أنه قد أبدله الجن بطفل من عندهم لذلك هو ذكي اعتقاداً منهم بأن الجن صغار الأجسام، أذكياء العقول، ولذلك كان بعضهم يقول للصغير الذكي جداً (جنّي).

وفلان (مْواكل) إذا كان يأكل أكلاً شديداً، وبخاصة إذا لم يظهر ذلك عليه سمناً، أو تضخماً في جسمه.

أصله من زعمهم بأن الذي في جسمه جني يأكل أكلاً

كثيراً؛ لأنه يأكل لنفسه، ولذلك الجني، وهذا معنى قولهم (مواكل)، أي يؤاكله غيره، بمعنى يأكل معه، ويشاركه في أكله.

قال سليمان الرميحي في معرض قوله عن رطب أمعن فيه أكلاً:

وابدا أجـــرع على ســـبع	قـــالت أمي: وش هالطـــبع
وأنا مسكت مثل (النّـبْغْ)	واثمى بلش بـــاللي فـــيه
قالت لي: ذا شـــغلٍ شين	ما انتب صاحي يا مسكين
(مْواكـــل) بك جنيين	والبـــاقي وين تـــوديه

فقوله: (مواكل) أي يأكل معك غيرك، وفسر ذلك بأن الذي يؤاكله جنيان - تثنية جني -، فهما يأكلان معه، وهو يأكل لهما ولنفسه، لذلك يكون أكله كثيراً جداً.

وقد جاء بهذا على سبيل المزاح والمفاكهة وإلا فإنه لا يعتقد بحقيقته.

الخوف والفزع

هناك مأثورات شعبية عديدة تدل على حالة الخوف والفزع، ومقابلة ذلك ومدافعته مما يجعل الشخص خائفاً مضطرباً من أن يعتدي عليه أحد، أو يأخذ ثأره رجل كان لقبيلته أو جماعته لديه، أو لدى جماعته ثأر سابق، إضافة إلى ما كان يتردد على أسماعهم من أنواع الإصابة في الحروب التي تصل إلى القتل، أو ما هو أشد من القتل، كالإعاقة الدائمة، والآلام المبرحة المتصلة من دون وجود ما يكافح تلك الآلام، أو يخفف أثرها.

من ذلك قولهم: (صاح الصياح) يعني: نودي لطلب النجدة، وأصله أن الذي يعلم بحلول حادث مناجئ يضر تأخير التحذير منه، فإنه يصيح بأقصى ما يستطيع صوته أن يفعل، وعلى كل من سمعه أن يسرع للنجدة والقتال، وهو يقول في العادة: (ثبِّت ثبِّت).

و(ثبِّت ثبِّت) بصيغة الأمر من الثبات، والمراد به التثبت، أي التحقق من الشيء.

وذلك فيما إذا أصابتهم نكبة عارضة عاجلة تستدعي أن يتعاونوا على مواجهتها، كأن يشتعل حريق يحتاج إلى

إطفاء، أو أن يغير مغير عليهم، فيذهب بماشيتهم، أو أن يهجم أعداء عليهم لقتالهم، فيصلوا إليهم دون علمهم، فإن الصائح منهم يصيح رافعاً صوته يستصرخ من يبلغه صوته لنجدته ونجدة قومه.

فكان من العادة أن يقول من يسمع ذلك الصوت: ثبِّت ثبِّت، أي نحن حاضرون للنجدة، ولكن لا بد من التثبت لئلا يكون في الأمر غلط، أو مزح، أو تضليل.

قال عبد المحسن الصالح من أهل عنيزة:

(ثبِّتْ) (ثبِّتْ) يا صيَّاح جاك مْبَنْدق يا رمّاحِ

قلته، نصف الحرب مزاح خفت بْصَوْح يتغبا لي

ويسمون الهزيمة في الحرب: (الإخيذه) بكسر الهمزة والهاء بعدها.

ومن كلامهم: القوم (وخْذوا) أي أُخِذوا، فهم (مأخوذون)، أصلها في أن إبلهم أخذها الأعداء، وذلك يعني الهزيمة، أو أنهم هزموا في موقعة حربية.

ومنه المثل في الجيش الغازي، أو زعيم ذلك الجيش عندما يُهْزَم: « ماخوذ ومقرود ».

وفي المثل: « إخيذة الضحى » في الغبن الظاهر؛ سواء

أكان ذلك في بيع، أو قسمة، أو مقايضة.

وقولهم: فلان ماخوذ الضحى، أي قد غبن غبناً ظاهراً.

والماخوذ: هو المهزوم في الحرب، والذي أخذت ماشيته.

وقالوا: « الماخوذ يضحك »، يقال لمن يتظاهر بعدم المبالاة بالمصيبة.

ومثل ذلك:

(البيات) في الحرب، وهو الهجوم على الأعداء ليلاً، وغالباً ما يكون الناس غارّين، أي غير مستعدين لمواجهة الهجوم الليلي.

ومنه قولهم: (بيَّت) القائد الفلاني أعداءه، أو بيتوه، أي فعلوا به ذلك، وإذا ترتب على ذلك هزيمة كبيرة ساحقة ذكروها بقولهم: (سنة البيات)، أو (وقت البيات).

والفزعة:

(فزع) القوم للقوم: أعانوهم في القتال على أعدائهم.

القوم راحوا فازعين، وفِزاع: نهضوا للحاق بأعدائهم الذين أخذوا مواشيهم، أو أغاروا على حلفائهم.

و(سَهَجَ) القوم أعداءهم المحاربين: أغاروا عليهم غارة سريعة دون سابق إنذار، ودون أن يستعدوا لمعركة طويلة معهم.

سهجوهم، فهم قوم مسهوجين.

والاسم: المسهاج، وهو دون المغزى في الوقت والاستعداد.

قال راكان بن حثلين

حرِيبنا لى اهْدَى علينا هـــديه

عندي مْجازاته مثل ما جــزاني

(نسْهَجْ) محله لين يخلفِ نوِيـــه

يصبر كما يصبر جديع الأذانِ

وكانوا يتفننون في التخويف بأنواع السلاح، وبآثار العرب بذلك السلاح على الجسم، فمن تخويفهم بالرمح (المزرَّج)، وهو الذي فيه (زرْجه).

وأصل الزِّرْجة بكسر الزاي: ما اجتمع متكوراً على رأس المغزل من خيوط الصوف الذي غالباً ما يكوّن أسود.

ولذلك شبه بعضهم بها رأس العبد الأسود فقال، وهو من شعراء شمر، في قصيدة:

العيد راسه تقل (زرْجه) اللي يْطلقٌ الضيف بمشعابه

لا بد الأيام مفترجه والحر يشبع بمخلابه

وقال محمد بن ناصر السِّيَّاري من أهل ضرما:

كني صويب مْشَلْشَلٍ فيه (زِرْجــــه)

عقب الطنا ما عاد يرفع حجــــــاجه

واقفى حصانه عقب ما خلى منه سرجه

وهو طـــــريحٍ طايحٍ في عجـــــاجه

و(المشلشل): نوع من الرماح.

و(المِزْراق) من الرماح: رمح دقيق خفيف، لا يستطيع الإصابة به إلا ماهر في قذف الرمح.

زرقه بالرمح: قذفه به، وزارقه: تبادل معه ذلك بمعنى بارزه في زرق الرماح.

وفي المثل: « قال: زارقني وزارقك، قال: فارقني وافارقك»

يقال في البعد عن الشر والخصام.

قال عبد الرحمن بن غنيم الملقب طمام من أهل بريدة في الغزل:

يا عشقتي، قلبي خذيتيه بالسوق

يا الترف، يا الغطروف ضايـ الجديله

غديت كني بين (زارق) و(مـزروق)

ما يـسـندري عني من أية قبــــــيلة

أما الإصابة فإنها أنواع، منها الضرب على (الأبـهر): وهو عرق، أي شريان في جانب الصدر متصل بالقلب إذا قطع نزف دم الرجل منه فمات.

يقولون: ضرب فلان خصمه بالسيف على الأبـهر، أو: وقطع منه الأبهر.

يراد أنه ضربه ضربة قاضية، أو شديدة جداً.

قال دغيم الظلماوي:

لَى صار دابه جِعِل رمـــــح يدبّه

رمح مع (الأبهر) غميق الصوابِ

جعله يِطيح بـــــــديرةٍ ما تحبّه

تاتي ذلوله بِس علـــــمه يجابِ

قال ابن دويرج:

لا تصافح عدوٌ لجدك وأبوك

لو ضحك لك مع الناس فانت احـذره

اصْمحه، وارْمِحه، واضربه بالصَّريمْ

وْقِل: لعل أم نِمْرٍ تفـــــــج (أبْهَره)

وأم نمر: نوع من البنادق.

وحتـى الأطفـال كـان أهلوهـم يخوفونـهم بالذئـاب، فيقولون مثلاً: اسكت لا ياكلك الذيب، وذلك فيما إذا صاح الأطفال، ولم يستطيعوا إسكاتهم، فإنهم يخوفونهم بذلك.

وحتى إنهم يخوفونهم بالعالم غير المنظور من الغيلان – جمع غول- ، ومنهم السِّعْلُوَّة التي يقولون إنها تأكل الناس، وكذلك بالسِّعْر، وهو الكلب والذئب الذي يذوق لحم ابن آدم، فيظل يتطلبه.

وبالسِّعْلُوَّة بتشديد السين وكسرها، وإسكان العين، وضم اللام، ثم واو مشددة، فتاء مربوطة، وهذا وزن غريب.

مذكرها: سِعْلُوْ، وجمعه: (سَعَالْوَا) بفتح السين والعين، فألف، ثم لام ساكنة، فواو مفتوحة فألف.

تصغيره: (سْعَيْلُو).

ومن أسجاعهم المشهورة: « جاك السعيلو ليلوي في أذنيه عُوذْ ».

وذلك أنهم يعتقدون أن السعلو، هو جني ذو خلق غريب موحش، ثم يضيفون من خيال الخائفين، وذوي الخيال الخصب منهم، عليه صفات غريبة مثل صفات خلقه أو أغرب.

وقد كانت بيئتهم القديمة التي تقل فيها الأنوار في البيوت للمقيمين، ويقل في لياليها النور في الصحراء للمسافرين ما يضخم هذه الأمور، ويزيدها تأكيداً ما كانت نساؤهم يخوفن به أطفالهم الصغار من حكايات عن هذه المخلوقات يردن بذلك أن يسكتن أطفالهن، ويقطعن صياحهم إذا ما أعجزهن السبيل إلى ذلك.

وكان بعض الصبيان يضايق الأطفال الصغار (فيسعلو) عليهم، أي يظهر لهم أصواتاً منكرة مخيفة يقلد بها أصوات السعلوة، كما تخيلوها، فيسارع الطفل إلى أهله شاكياً بأن فلاناً (يْسَعْلُو) علي.

وأما (السِّعْرُ) فهو الذئب أو الكلب الذي يأكل الناس، وبخاصة الأطفال، وغالباً ما يرجعون سبب (سعاره) ذلك إلى حروب، أو أوبئة تحدث، فيكون وصوله إلى جثث الآدميين سهلاً بسببها، فيتعود على أكل لحم الآدميين.

واستَسْعَرَ الذئب، أو الكلب: صار سِعْراً.

وقد يقولون للرجل الذي يأكل لحم الآدميين في المجاعات، ثم يستمر على ذلك هو مستسعر، والمرأة «سِعْرَة».

ويكثر الحديث عن ذلك في خرافاتهم وحكاياتهم العامية.

وكذلك استسعرت الضَّبُع: صارت تأكل الأحياء.

قال حميدان الشويعر:

يوم جئنا سويره من العارض

كنها ضَبْعةٍ حلّ فيها (سْعَرِي)

ومن ذلك تحدي الفرسان المبارزين، أو ذوي الشجاعة.

و(شُرْب الفنجال) عندهم المراد به شرب فنجال القهوة.

ويفعل الفرسان والمقاتلون ذلك على طريق التحدي، فإذا قال أحدهم: أنا شارب فنجال فلان، ثم تناول فنجاناً من القهوة على أنه فنجان ذلك الرجل، فشربه كان معنى ذلك دعوة ذلك الشخص لمبارزته ومقاتلته.

الحرف والمهن

كانت الحرف والمهن تضيق بأربابها مع أنها كما قالوا في أحد الأمثال: (الصنعة عيشة) أي يمكن لمن يزاولها أن يعيش منها، ولكن لا يمكنه أن يجمع منها مالاً زائداً عما يحتاجه، فلا ثروة من المهنة في تلك الأزمان، ولذلك وصفوا كثيراً من الأعمال والمهن بأوصاف تدل على ذلك، من ذلك ما يسمونه (الحِرْفة)، وهي مهنة (الحِرْفي) الذي يشتغل بالبناء ونحوه.

وقالوا في الحرفي الذي يعمل في الطين ونحوه، ومهنته الحِرْفة: « الحرفة منحرفة ».

وذلك أن العامل الذي هو بمثابة العامل اليومي لا يظن أن يفلح في جمع شيء من المال لأيام الضيق والتعطل لقلة ما يأخذه من أجره اليومي.

وجمع الحِرْفي: حِرْفية، و « حَرَافي ».

قال ابن جعيثن في ذكر سحاب:

يمطر على حرمه حقوق المخـــــايل

يشبع به (الحِرْفي) وراعي العماله

النواحي الاجتماعية

لم يكن يوجد مثل هذا التآخي بين الفئات التي يتألف منها المجتمع، فكانت كل طائفة تهزأ بالأخرى قولاً إذا لم تقاتلها فعلاً، فبين البدوي الذي يعيش في البرية، وينتجع الكلأ، ويسيمه ماشيته، وبين الحضري القار في بيوت الطين نزاع وخصام، نشأت عنه كلمات وأمثال حفلت بها المأثورات الشعبية.

فكان الطرفان يتبادلان النبز بالألقاب، فضلاً عن الملاحقة بذلك، وقد كان الصبيان والأغرار من أهل القرى يلاحقون أهل البدو إذا أمنوا من ضعفهم، وبعد أنصارهم عنهم بأن البدوي وسخ منتن حتى كان بعضهم يلقبه بالقطران.

وكان أهل البادية يلقبون الحضري بلقب (حَمَر الأذن): والحضري هو الساكن في الحضر، خلاف البدوي الأعرابي، وهذا في قول الأعراب يعيبون الحضري بكونه (حَمَر إذن) أي: أذنه حمراء اللون بسبب بعده عن التعرض للشمس، وتقلبات الجو، يرمونه بأنه رخو، هش، لا يصبر على المشاق.

وذلك في مقابل ما كان أهل الحضر يعيبون البدوي به مثل قولهم: البدوي مْصَوِّف مَنْخر، أي ذو الشعر الكثيف في

منخره، وقولهم: « بدوي مْصِنّ » أي ذو صنان، وهو الرائحة الكريهة من الجسم، كناية عن عدم التنظف والاغتسال.

وكان بعض القبائل والأفخاذ تصف الآخرين من سكان البلاد بأنهم (قوم حمرا) أي: معادون شديدو العداوة، متظاهرون بذلك.

يقول أحدهم: كيف أروح للبلد الفلاني، وأهله قوم حمرا؟ أي معادون لي ولقومي عداوة شديدة، وذلك كله كان إبان عهود الإمارات في نجد، وقبل الحكم السعودي الشامل.

اللباس

كانت ملابسهم قليلة، ورديئة النوع؛ لأنها تكون في الغالب من الخام الخشن، ولكن الذين يستطيعون أن يجددوا ثياباً جديدة من الخام يعتبرون من المحظوظين؛ لأن قلة من الفقراء والمعوزين كانوا يفرحون بأي لباس، وبخاصة في أيام شدة البرد في الشتاء.

ولم يكونوا يلقون بالثوب المستعمل وهو الخَلَق، وإنما كانوا يلبسونه حتى يتهرأ، وله قيمة عندهم، حتى جاء في مأثوراتهم الشعبية قولهم:

« طق النجدي، ولا تشق خَلَقه »

وخلقه: ثوبه الخَلَق، أي المستعمل كثيراً.

وطق النجدي: ضربه بعصا، أو بالكف، أو نحو ذلك. يراد أن النجديَّ في ذلك الوقت أهون عليه أن تضربه من أن تشق ثوبه الخلق؛ لكونه لا يستطيع تعويضه؛ بخلاف الضرب الذي يشفى منه، وقد يذهب أثره.

والخام قماش لملابس الرجال، غليظ رديء، غير ناصع البياض؛ بل يميل بياضه إلى كدرة تغلب عليها الصفرة.

ويعتبر عندهم من القماش غير الجيد، وإنما الجيد هو القرطاسي، أو البفت.

قال عبد الله الحرير من أهل الرس في الهجاء:

ما فذّ فيها إلا تقاليد (هالخـــام)

أشكال تظهرمير تنكس إلى دون

وقال سليمان بن مشاري من أهل الداخلة في الأعراب:

الصمغ من أوّلْ مـــاكلهم ولا كـــلٌ يحصلْ له

والملبوس (الخام الخايس) وعليه من الجل أجِلّه

يريد أنهم كانوا في الماضي يأكلون الصمغ، ويلبسون الخام الخائس، وهو ذو الرائحة الرديئة.

والخاكي: قماش رديء، وبعضهم يخصصه بالرديء من الخام، الذي هو قماش قطني غير ناصع البياض.

قال عبد العزيز بن إبراهيم السليم من أهل عنيزة:

وش هقوتك باللي يقولون: حجام

هو حاجمه والا لقاها محجومه؟

والا مثل ما فَصّلَوْا لابن (فَعّـــام)

ثوب من (الخاكي) طوالٍ كمومه

و(الحْياكـه) بإسـكان الحـاء، وتخفيـف اليـاء، عبـاءة رثـة كـانوا يحوكونها، أي ينسجونها عندهـم بـآلات قديمـة، وهـي من الصوف تـكون خشـنة ثقيلـة، يلبسـها الأعـراب، وغـير الأغنياء مـن أجـل الـدفء في الـبرد، وهـي أيضـاً تبقـى عليـهم طويلاً.

وأما ذوو الأقدار، أو الأموال، فإنهم لا يلبسـونها، وإنمـا يلبسون (مشـالح) الشـمال ونحوها.

جمعها: حوائك.

وقد اندثرت حياكتها مع ما اندثر من الأشياء التي وجد الناس أحسن منها وأجمل في المصنوعات الأخرى.

ولقلة الثيـاب عندهـم في المـاضي، وكونـها لا تقـي مـن الـبرد وجـدت في مـأثوراتهم ألفـاظ تصـف الـبرد، أو تشـكو مـن شـدته، مثل:

(أحَّيْـه) بفتـح الهمـزة، فحـاء مشـددة مفتوحـة، فيـاء ساكنة، فهاء: كلمة تقال للتوجع من شدة البرد.

ومنه المثل: « أحَّيْهْ يا بردْ شتَيْه » وشتيه، تصغير شتاء، وأضافوا إليها هاء السكت، ولكنهم ينطقون بالياء فيها مخففة.

وكلمة (أحَّيْه) تقال عند الشعور بالبرد، وعند تصور البرد الشديد، مثل أن يتحدث شخص عن برد شديد صادفه في وقت من الأوقات، فيقول من يسمعه: (أحَّيْه ...).

قالت أعرابية غاب عنها زوجها:

(أحَّيْه) من برد الشمال الشنوفِ

لها عليَّ الصبح والعصر مرسوم

من كثر ما أرمي للطرقي بْشَوْفي

وأنا اتحدَّى مِرْذي النِطَّر الكوم

من أمثالهم: « دخَّانها ولا هبوب شمالها ». يقال عندما يكون الدخان كثيفاً على النار لرطوبة الحطب، أو الندى في مكان النار، أو لعدم وجود نافذة في المكان الذي توقد فيه النار، وعندما يتأذى الموجودون من ذلك الدخان.

يريدون أن الصبر على هذا الدخان المؤذي أهون من الصبر على الريح الشمالية الباردة التي أسموها الهبوب.

ومن أمثالهم في الدخان الكثيف المنعقد المؤذي للعين والأنف: « دخّان جلة» والجلة: روث البهيمة.

وذلك أنهم كانوا يوقدون به عند الحاجة، وتوفيراً للحطب الجيد.

وكان الأغنياء والميسورون منهم يلبسون في أرجلهم (الزرابيل).

و(الزُّرْبول) بضم الزاي: نوع من الخفاف المحلية، يتألف من نعل وغطاء للقدم من الجلد، وبطانة داخلية تمتد إلى ما فوق الكعب، تكون من وبر الإبل، وهو دفيء جداً إلا أنه ثقيل، ويعيق الحركة السريعة.

جمعه: زرابيل.

ولم يكونوا يعرفون من الخفاف التي تغطي القدمين غير الزربول، يصنعونه بأيديهم، فالجوارب الداخلية تغزل من وبر الإبل، والخف من جلد الغنم، يخرزونه على تلك الجوارب، فتكون ملتصقة به وتصير جزءاً منه.

قال هويشل بن عبد الله من أهل القويعية:

جِرْوةٍ كنها (زِرْبول) عَمَّالِ

جروة من ربيع العام تغذى له

وزربـول العَمَّـال: هـو هـذا الخـف الـذي ذكرنـاه، وهـو ضخم المنظر، غير أنيق الشكل.

وجروة: الأنثى من جرو الكلب.

وقال راضي السبعة من عنزة:

مْن أوِّلٍ يحفى القدم ما نوقـــيه

ما ابي نعول ولا (زرابيل)، حـــافي

آحدا مواطي الذيب، واعدي معاديه

أركض برجلينٍ سباقٍ خْفــــافٍ

الخشونة في الفراش والآنية

أما النوم، فإنه يكون على الأرض، ومن ينام آمناً مطمئناً على الأرض، أو حتى ينام كل ما اشتهاه من النوم يعتبر نفسه سعيداً محظوظاً، حتى بدون فراش.

ومن الفرش الكثيرة الاستعمال عندهم: (الساحة):

و(الساحة) هي بساط غليظ خشن من الصوف، يكون مستطيلاً، ويستعمل فراشاً، وقد يستعمل لحافاً في الأيام الشديدة البرودة.

جمعه (سياح).

ومنه المثل: « فلان مهبول ياكل السياح » يضرب لناقص العقل.

والمثل الآخر في الرجل الأشدق الكثير الكلام: « ما تسد اثمه الساحة ».

والمثل الثالث: « المحبوب براحة، ولو كان لابس ساحه». أي أن ذلك لا يضع من قدره عند من يحبه.

وقد ذكروا لبس الساحة لخشونتها، وعدم نظافتها.

وقال ابن جعيثن:

ترى نومك على (الساحه) نظيفه

ولا نومـــــــك على وصْخ الزُّوالي

و(القدح المشرَّط): هو المربوط بشريط من الحديد إذا انكسر.، وكذلك الصحفة، ولا يكون ذلك إلا من الخشب.

وطالما سمعنا بعض الأعراب الذين يمتهنون الصناعة، وينادون في الأزقة بقولهم: « ما هنا شيٍ يْرَبّ أويْشَرَّط » والذي يرب هو الذي يطلى بالقصدير، ويكون من النحاس.

أما الذي يشرط فهو الذي يكون من أقداح الخشب ونحوها.

الفلاحة والزرع

النَّهْم بفتح النون، وإسكان الهاء: الحث على فعل الشيء، أو تركه بصوت مرتفع.

أكثر ما كان يطرق أسماعهم من معنى هذا اللفظ هو ما يتعلق بالجراد، وبصغاره الدّبى.

فكان الجراد إذا نزل بهم جعلوا (ينهمونه)، وذلك برفع أصواتهم، والقرع على أشياء تحدث أصواتاً عالية من أجل تنفير الجراد، وحمله على الطيران، والابتعاد عنهم.

كانوا يقولون في الرثاء لمن نزل بهم جراد: « الله يعينهم هم الآن ينهمون » أي يدافعون الجراد بالطريقة التي ذكرتها.

وكثيراً ما يصحب ذلك النهم إشعال النار في أشياء لها دخان كثيف، كهدب الأثل، وهو بمثابة ورقه من أجل إفزاع الجراد وحمله على الطيران والابتعاد.

وإن كان الأساس في النهم هو الأصوات المرتفعة، وشاهدناهم كثيراً ينهمون الدَّبى، وهو صغار الجراد قبل أن يطير عندما يقترب منهم، وعندما يخرج من الأرض، وقبل أن يصلهم، فإنهم كانوا يخرجون إليه ليحاولوا القضاء عليه، أو

صده قبل أن يصلهم، وذلك بأن يحفروا له زبى جمع زبية، وهي الحفرة الكبيرة في الأرض، ثم ينهمونه، وهم يسوقونه بسعف النخل، وأغصان الأشجار إلى تلك الحفرة حتى يسقط فيها، ومن ثم يدوسونه بأقدامهم، ويضربونه بما معهم من خشب ونحوها حتى يموت، فلا يخرج من الحفرة.

إن إخراج الماء من البئر لسقي النخل والزرع يتم بالسني، وهو عمل شاق، وإن كانوا في الأحيان المعتادة يسنون على الدواب.

و(السِّنِي) بكسر النون: إخراج الماء من البئر على الدواب، وهذا مصدر فعله: سَنَى يَسْنِي.

والسواني: الدواب التي يُسْنَى عليها.

ومن المجاز قولهم: « كل يسني ولا كلٌ يروس ».

يقال في تفاوت الناس، أي كل شخص يستطيع أن يسني، ولكن ليس كل شخص يستطيع أن يروس الماء، أي يصرفه في حياض الزرع.

وقولهم: « إسْنِ وإلاَّ سنت بك المحالة » يضرب في الإجبار على الفعل.

ومن المجاز للشخص المجرب: « فلان ساني ومسن

عليه» ، والمسني عليه: الذي سنى غيره عليه، أي جعله يسني هو، أي يخرج الماء من البئر كما تقول: عندنا بعيرين نسني عليهن أي نخرج الماء من البئر عليهما.

ومن الكنايات عن الضجة بدون حاصل قولهم: «سواني بلا ما ».

وقولهم فيمن يعاشر الناس على اختلاف مشاربهم: « فلان يسني على كل مَسْنَى ».

وقريب من هذا اللفظ العريق الذي انقرض، أو كاد، لفظ آخر هو (مِسْنِي) بكسر الميم، وإسكان السين، ثم نون مكسورة، ومعناه غير معناه.

فمن ذلك قولهم:

(أسْنَتِ) البلاد، فهي (مِسْنِيَة): أصابتها السَّنة، وهي الجدب والمحل، وعدم نزول المطر.

أسْنَتْ تِسْني - بكسر التاء -.

ويقال فيها: (سناوية) إذا أصيبت بالسنة.

قال فهيد المجماج من أهل الأثلة:

يا نويصر طـــالت الهجْرةِ عليـنا

ذا لنا عامـــين والوادي (سنَاوي)

والتجــــار وجيههم قامت تشـينا

كنّ واحدهم عن النُّفْرِ مْتداوي

وقال أيضاً في الدعاء:

عساك يا دار جنيتيه (تسْنين)

ولا تجيك محلتمات الرّعــود

وقال مشعان بن هذال:

ما ينبت النـــوار لو سال واديه

صبْخه وجنجاف (سِنِيٍ) جنابه

لو يدهـــجه وبل الثريا ويسقيه

ويمطر بيـاقوتٍ ومسكٍ سحابه

وقال الأمير خالد بن أحمد السديري:

تسوقنا الأيام ركّابْ وخْـــناهْ

العمر يفنى والليالي مْعَـــــدُوده

في طاعة الواجب هوانا عصيناه

يبست شنون الحب و(اسنْتْ) عْدوده

ويبست شنون الحب: مجاز؛ لأن الشنون جمع شنّ أوشنة، وهو القربة القديمة البالية، وعدوده: آباره التي كان الماء فيها وفيراً.

وقال غانم الغانم من أهل الزلفي في المدح:

للديار (المِسْنيه) مثل المطر

والعدو نار وغاز واشتعال

أشقرٍ حرٍ ولى منه شهر

كو سرت عنه الجوارح بالكمال

ولذلك يحملهم العمل الشاق، أو عدم لتمكن من العمل المجدي، على هجر بلادهم، والبحث عن ذلك في الأمصار المجاورة، مثل العراق والشام، والغوص في البحر، وهو:

(الحلْوْشه) في البحر، وهي: ركوبه لغرض صيد اللؤلؤ أو نحو ذلك.

(طاش) الرجل: ركب البحر، فهو يحلوش فيه، أي

يعمل فيه.

والعامل في البحر ابتغاء صيد اللؤلؤ أي التقاطه من قاعه: (طوّاش).

قال مبارك بن مرجان من أهل الأسياح:

طول نكدً، وكدّنا ما كفانا

عيشة وزا يا الله على الكره نعتاش

نبي(نْغَرّب) كان ربي رشانا

والاّ (نطوش ببحر من عرض من (طاش)

يريد أنه سيترك بلاده في الأسياح في القصيم إلى جهة الغرب؛ حيث الشام ومصر، التي يذهب تجار المواشي من أهل القصيم إليها، أو يشرق حيث البحر على الخليج العربي ابتغاء للغنى، وفراراً من الفقر.

وكل هذه الألفاظ مات وقضي على مدلوله في حكم الملك عبد العزيز: إذ أعطانا الله تعالى مع الأمان والاطمئنان هذه الثروة النفطية، وما صحبها أو نتج عنها من ازدهار اقتصادي، ولله الحمد.

المحتويات